

عوامل الضعف المعنوي عند مسلمي الأندلس في عصر الطوائف

الدكتور / حمد بن صالح السحيباني

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن من المبادئ والقيم التي سعى الإسلام لتأصيلها في نفوس معتنقيه وأتباعه، إعداد القوة، وتنمية الشعور بأن عزة المسلم وعلو شأنه، يجب أن تبقى شامخة متعالية على كل من حوالها من القوى ﴿وَأَعِزُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِفِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ومما لاشك فيه، أن القوة المعنوية ماهي إلا نوع مهم من أنواع القوة التي دعا الإسلام إليها، بل أمر بها، وكان الرسول ﷺ وصحابته من بعده يسعون دائماً إلى تأصيلها في نفوس المسلمين عامة والجنود والمحاربين خاصة، وذلك إدراكاً منهم لأهميتها وتأثيرها على المسلمين في كل شؤون حياتهم الاجتماعية، والسياسية، والحربية، ويدرك المتابع لتأريخ المسلمين العسكري والسياسي أن قوتهم في هذين الميدانين - بل في جميع شؤون حياتهم - كانت مرتبطة ارتباطاً قوياً ومباشراً بقوتهم المعنوية، وأن أولئك القوم كانوا حينما تتعالى فيهم هذه القوة يقدمون أروع الأمثلة في التضحية والفداء للدين والعقيدة، كما كانوا يستشعرون هذه القوة، ويدركون أهميتها لهم لاسيما في الميادين الحربية، وقد عبر عن هذا الشعور الخليفة الراشد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - حينما قال: «إن الله لم ينصرنا مع نبيه ﷺ بكثرة عدد، ولا بكثرة جنود»^(٣)، كما وعاهها الصحابي الجليل ثابت بن أقرم حينما قال لأبي هريرة وكان بجانبه في معركة مؤتة لما رأى أن أبا هريرة قد هاله ما رأى من كثرة العدة والسلاح للعدو حيث قال: «يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قال: نعم، قال: إنك لم تشهد بداراً معنا، إننا لم ننصر بالكثرة»^(٤).

وقد ظلت هذه الروح المعنوية سامية في جيل الصحابة والتابعين، كما بقيت سمة ملازمة للجنود في حركة الفتح الإسلامي حيث استشعر أولئك الجنود

مسؤولياتهم الجسيمة إزاء الناس، فانطلقوا ليلغوا رسالة الإسلام إليهم ، مدفوعين بروح معنوية عالية ، وقيم حضارية لاتعرف الجبن ولا الخور، ولم يكن للتقاعس أو الضعف مكان في نفوسهم .

ولمّا دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كان الجيش الفاتح يتمتع بروح معنوية قوية ؛ لأن أفرادهم التزموا بتعاليم الإسلام الشاملة التزاماً حقيقياً ، كما فهم قاداته الأوائل الجهاد في سبيل الله على حقيقته ، وهو أنه من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دينه في الأرض؛ ذلك لأنهم قد نشئوا في بوتقة الإسلام ، و تربوا في المدرسة الإسلامية وغذوا بلبان العقيدة الصافية ،وانعكس ذلك في منهج حياتهم عبادة وجهاداً .

ولم تكن هذه القوة المعنوية ،خاصة بالمسلمين الفاتحين لبلاد الأندلس، بل إنها كانت سمة عامة تميّز بها الجند الفاتحون للبلدان الإسلامية ، وكتب التاريخ والتراجم ؛ مملوءة بالأدلة والشواهد التي تبين أن المسلمين كانوا يولون التعبئة المعنوية لجيوشهم عناية خاصة ، بل إنهم كانوا يقدمونها على الإعداد المادي ، وذلك استناداً إلى كثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد على أن الاستعداد النفسي، والقوة الإيمانية لاتقل أهمية عن الاستعداد المادي بالأسلحة والعتاد .

وفي عصر الولاة بالأندلس (٩٥ - ١٣٨هـ / ٧١٤ - ٧٥٥م) حافظ المسلمون - في الغالب - على هذه الروح المعنوية ، فقد كانت جهودهم في ميدان الجهاد في سبيل الله كثيرة^(٥)، شملت مناطق متعددة من الرقعة الأندلسية ، وفي هذا يقول صاحب «أخبار مجموعة»: «وكان من وصفنا من الولاة يجاهدون العدو، ويتوسعون في البلاد، حتى بلغوا افرنجة، وحتى افتتحت عامة الأندلس»^(٦) .

وحينما قامت الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢هـ / ٧٥٥ - ١٠٣٢م). كانت الدولة الإسلامية هناك، قد بسطت سلطانها على معظم شبه جزيرة ايبيريا،

التي أصبحت خاضعة لحكم المسلمين، حيث صار المسلمون الحكام الحقيقيين لتلك البقاع، كما كان جيش المسلمين هو القوة الأولى في تلك الديار، وقد اعترف المؤرخون النصارى بأن دخول عبدالرحمن الأول إلى الأندلس وقيام الدولة الأموية هناك، قد وقف سدّاً منيعاً أمام طموحات الدويلات النصرانية، كما منعها من التوسع في أراضي المسلمين^(٧).

وبعد أن انهارت الخلافة الأموية بالأندلس، وانفرد المسلمون بانهيارها، حيث قام على أنقاضها العديد من الدويلات الإسلامية، وقد بلغت هذه الدول زهاء ثلاثا وعشرين دولة، ولها ثلاثة اتجاهات عصبية هي: البربر في الجزء الجنوبي، والصقالبة في القسم الشرقي، أما باقي الأندلس فكان تحت حكم العرب، وأهم هذه الدول هي^(٨):

- ١ - منطقة قرطبة ويحكمها بنو جهور: ٤٢٢ — ٤٦٠ هـ (١٠٣٠ — ١٠٦٨ م).
- ٢ - منطقة طليطلة ويحكمها بنو ذي النون: ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ — ١٠٧٥ م).
- ٣ - إشبيلية ويحكمها بنو عباد: ٤١٤ — ٤٨٤ هـ (١٠٢٣ — ١٠٩١ م).
- ٤ - غرناطة ويحكمها بنو زيري: ٤٠٣ — ٤٨٣ هـ (١٠١٢ — ١٠٩٠ م).
- ٥ - بلنسية ويحكمها العامريون: ٤١٢ — ٤٧٨ هـ (١٠٢١ — ١٠٨٥ م).
- ٦ - سرقسطة ويحكمها بنو هود: ٤١٠ — ٥٣٦ هـ (١٠١٩ — ١١٤١ م).
- ٧ - بطليوس ويحكمها بنو الألفطس: ٤٢١ — ٤٨٧ هـ (١٠٣٠ — ١٠٩٤ م).

وبسبب هذا التشتت، تغير واقع المسلمين هناك حيث تخلّوا عن كثير من المبادئ والأسس التي قد تربوا عليها قبل ذلك العصر، إذ تحولت الوحدة إلى فرقة، والاجتماع إلى تشتت، والقوة بكل معانيها إلى ضعف وخور، والغايات النبيلة إلى أهداف ومطامع رخيصة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٩).

وبهذا أصبح واقع المسلمين، يختلف كثيراً عن واقعهم السابق، كما أن المجتمع بكل شرائحه وفئاته قد تأثر بذلك. ومما لاشك فيه أن هذا التحول الذي مني به المجتمع الإسلامي في عصر الطوائف بكل فئاته لم ينشأ من فراغ، كما لم يكن وليد يومه وليلته، وإنما تمخض نتيجة لعدد من العوامل التي توافرت فتضافرت على وجوده، فما تلك الأسباب وكيف أدت إلى ذلك الضعف؟ هذا ماسوف نحاول هذه الدراسة - بعون الله - الإجابة عنه وبيانه من خلال استقراء المادة العلمية التي عاجلت هذا الموضوع بعد جمعها وتحليلها واستنباط الأفكار منها:

وقد جاءت هذه العوامل وفق هذه الدراسة على النحو الآتي :

١ - ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه

٢ - انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس .

٣ - تخلي كثير من المسلمين عن الجهاد في سبيل الله .

٤ - العصبية القبلية التي انتشرت بين المسلمين هناك، وأثرها في تمزيق المسلمين إلى شعوب وقبائل متناحرة .

أولاً : - ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، أخذوا يسعون لنشر الإسلام، وتأصيل مبادئه في نفوس المسلمين هناك؛ حيث دعوا إليه بأفعالهم، ثم عرضوه على الناس بأقوالهم؛ موضحين مافيه من خير وسعادة للبشرية، ولما كان هذا الدين يتسم بقوة ذاتية، حققت المثل الإنسانية الفريدة لمعتنقيه، فقد أقبل الكثير من سكان تلك الديار على الدخول في الإسلام، برغبة ذاتية، دون إكراه، وعن طواعية واختيار، وهكذا لم تمض مدة وجيزة، إلا وقد انصهر معظم سكان

الأندلس في بوتقة الإسلام على مختلف طبقاتهم وفئاتهم^(١٠) ولهذا أصبح شعارهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١١) كما استشعروا قوله ﷺ : «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»^(١٢) .

ومما لاشك فيه أن هذا النجاح الباهر الذي حققه الجنود الفاتحون لبلاد الأندلس ، هو الذي دفعهم إلى مواصلة المسيرة الجهادية في شمال الأندلس وخلف جبال البرت ؛ حيث أصبح هذا الأمر هاجساً ملازماً لكثير من الجند الفاتحين، فقد ذكر الحميدي أن محمد بن حبيب المعافري ، قدم مع النعمان بن عبدالله الحضرمي على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) في بلاد الشام: فقال سليمان: « ارفعا حوائجكما ؛ فأما المعافري فرفع حوائجه فقضيت ، وأما النعمان^(١٣) فقال : حاجتي أن تردني إلى ثغري، ولا تسألني عن شيء ، فأذن له فرجع ، واستشهد في أقصى الثغور بالأندلس »^(١٤) .

وقد سار مسلمو الأندلس على هذا المنهج ، في عهدي الفتح والولاء، حيث التزم كثير من الناس بأحكام الدين وأوامره، حتى غدت الجزيرة الأندلسية رباط جهاد ، وموئل حضارة، ومنبت إنسانية كريمة ، إذ حافظ الكثير^(١٥) من مسلمي تلك الديار على الفضائل التي دخلوا بها، كما أدرك كل واحد منهم مسؤوليته أينما كان موقعة^(١٦) .

ولما قامت الدولة الأموية بالأندلس (١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ - ١٠٣٢ م) بقي المسلمون محافظين على ذلك المستوى، كما التزم معظم الحكام الأمويين هناك بالشرع الإسلامي، منهجاً للحكم وسلوكاً شخصياً لهم ، فضلاً عن أخذهم الرعاية على ذلك، فقد كانوا يحكمون بالكتاب والسنة^(١٧) ، يقيمون الصلاة^(١٨) ويؤدون الزكاة وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(١٩) .

والمتبوع لتاريخ أولئك القوم يدرك أنهم قد ساروا وفق ذلك المنهج ، فقد التزم

كثير من الحكام الأمويين بأحكام الإسلام، والدعوة إلى تطبيقها، والعمل بها، وليس هنا مكان عرضها وبسط القول فيها، ولكن من المناسب في هذا المقام أن نذكر كتاب الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) والذي وجهه إلى شيخ قبيلة كتامة أبي العيش^(٢٠) بن أيوب ومما جاء فيه دعوته إياه بأن تكون أحكامه «... على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم المرسل بهما، وأن يأخذ بمراعاتهما والاهتداء بهما فإنهما مفتاح جنته والنور الذي لا يضل من استضاء به ... ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها...»^(٢١).

ويدرك المتمعن لما جاء في ذلك الكتاب، أن الخليفة الحكم المستنصر قد وضع المنهج الذي تسير عليه الدولة الأموية في شؤون حكمها بل في جميع أمور حياتها، ولم يكن هذا الكتاب وما يمثله من وثائق هي وحدها الشاهد على ترسم الأمويين خطى المنهج الإسلامي بل إن واقع تلك الدولة وتصرفات كثير من حكامها دليل آخر على السير وفق المنهج الإسلامي في معظم شؤون حياتها، ولم يضعف الناس في هذا إلا في آخر عمر الدولة وهذا مما غيّر واقع المجتمع الإسلامي هناك، كما عجل بنهاية حكم الأمويين .

ولما جاء عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨٢ هـ) كان واقع مسلمي الأندلس قد تغير نتيجة للضعف الإداري، والفوضى السياسية التي مُني بها المسلمون هناك، فسلطة السلطان قد ضعفت، ونيات الناس قد تغيرت، وأهدافهم السامية قد تددت .

ولعل من المناسب وقبل أن نخوض في تفصيلات ضعف الالتزام بمبادئ الدين أن نشير إلى مقالته بعض مؤرخي الأندلس وكتابتها عن أهل هذا العصر، فابن حبان - شيخ مؤرخي الأندلس - ذكر أن الناس في الأندلس إبان عصر

الطوائف قد تغيرت أخلاقهم ونواياهم ، كما أصبحوا يعللون نفوسهم بالباطل ^(٢٢) .

أما ابن حزم فقد وصف تلكم الحالة بقوله : « اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا ، بدياهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور ، يتركونها عما قريب ، عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم ، وعوناً لأعدائهم عليهم عن حاجة ملتهم . حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة ، وانطلقت السنة أهل الكفر والشرك ^(٢٣) ... » كما ذكر في موضع آخر أن ملوك الطوائف لو علموا أن في عبادة الصليبان تمشية أمورهم لبادروا إليها ^(٢٤) وقد ذكر ابن عذارى أنه في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة تميز ملوك الطوائف ، وعمتهم الفرقة ، مامنهم من يحذر الآخرة ^(٢٥) .

أما ابن الكردبوس فقد ترك لنا وصفا أدق حيث بين أنهم : « مشغولون بشرب الخمر ، واقتناء القيان ، وركوب المعاصي ، وسماع العيdan ، وكل واحد منهم ، يتنافس في شراء الذخائر الملوكية .. إلى أن ضعف ... الطالب والمطلوب وذل الرئيس والمرؤوس ، وافتقرت الرعية ، وفسدت أحوال الجميع بالكلية ، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية ... » ^(٢٦) .

ويبدو أن الانشغال بالقيان ، وما يصاحب ذلك من لهو ، كان من الأمور المسلم بها عند ملوك الطوائف ، بل إنها قد تأصلت في نفوس الكثيرين منهم ، فربما عدوها من مظاهر الملك ، وعلامات النصر والسعادة ؛ حيث يذكر ابن عذارى أن ابن الأفطس حينما انهزم أمام جيش خصمه ابن عباد بعد حروب طويلة أرسل رسوله إلى قرطبة يلتمس شراء وصائف ملهيات نافيا بذلك الشماتة عن نفسه وقد علم العالم أنه لفي شغل عنهن ^(٢٧) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد أدرك الشعراء ، والأدباء هذا الضعف ، فصوروه ، وقد

أجادوا في ذلك ومن هؤلاء أبو الحسن بن الجدة^(٢٨) وكان من ضمن مقاله^(٢٩) :

أرى الملوك أصابتهم بأندلس دوائر السوء لاتبقي ولا تذر
ناموا وأسرى تحت الدجى قدر هوى بأنجمهم خسفاً وما شعروا
وكيف يشعر من في كفه قدح تحذو به مذهلات الناي والوتر
كأنني بكم قد صرتم سمرراً ومالكم في الورى عين ولا أثر
أما تكم قبل موتٍ سوء فعلكم وكيف بالذكر إذ لم تحسن السير
كما ذكر المقرئ قصيدة لأحد شعراء الأندلس ، بين فيها واقع المسلمين
آنذاك ، وكيف تغير حينما ابتعدوا عن دينهم ، وتخلوا عن أصالتهم وقيمهم التي
دخلوا بها ، ومما جاء في تلك القصيدة^(٣٠) .

فإن قلنا العقوبة أدركتهم وجاءهم من الله النكير
فإنما مثلهم وأشد منهم نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن أن يحل بنا انتقام وفيما الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار إليه فيسهل الأمر العسير
ولكن جرأة في عقر دار كذلك يفعل الكلب العقور
يزول السنر عن قوم إذا ما على العصيان أرخيت الستور
هكذا وصف المؤرخون والأدباء حالة أولئك القوم ، فالبعد عن الالتزام بأحكام
الدين ومبادئه ، أصبح سمة غالبية ، لها مظاهرها الواضحة في المجتمع الإسلامي

وقد وصف ابن عذاري المراكشي بعض تلك المظاهر ، بقوله : « وأخذ الله أكثر
هؤلاء الرؤساء ... بسوء فعلهم ... من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم بغير حق ،
وتغييرهم لنعمهم ، وقطعهم لثمارهم ... »^(٣١) .

كما وصف أحد الباحثين المحدثين ذلك الوضع حينما قال : « انتشر الربا بين الناس الذين تحايلوا على منع الزكاة ، وقاموا باحتكار السلع والمواد الغذائية ، حتى يثروا على حساب الغير ، كما أثرى غيرهم من الحكام ، وجرحهم هذا إلى إتقان تزيف العملة ... أما الرشوة وأكل أموال اليتامى ، والتجسس ، والجن ، والجهل ، والكذب ، وغش الأطمعة ، والأغذية ، وانتشار السرقات ، والصوصية ، وغير ذلك من الرذائل ، والعيوب الاجتماعية ، فقد انتشرت بين الناس انتشاراً واسعاً حتى قال بعض المعاصرين أن تلك الحال لا يصلحها إلا نبي »^(٣٢) .

وبالإضافة إلى ماسبق فقد انعكس هذا الضعف ، في التمسك بمبادئ الدين وأحكامه ، على واقع المجتمع الإسلامي هناك ؛ حيث أدى غياب الوازع الديني من نفوس الناس حكماً ومحكومين إلى حدوث خلل عام ، بدت صورته ومظاهره واضحة للعيان ، ولعل من أهمها ؛ سوء علاقات ملوك الطوائف بمن ولاهم الله أمرهم من المسلمين ، حيث كانت تلك العلاقة تقوم - في الغالب - على التسلط والقهر ، والظلم ، والاستعلاء^(٣٣) كما كانوا مطلقي الأيدي مستبدين متساهلين في سفك الدماء يثقلون كواهل رعاياهم بجمع الأموال والضرائب منهم ؛ لإنفاقها على مصالحهم الذاتية ، أو لدفعها للنصارى إتاوة ؛ كي يضمنوا بقاءهم في الحكم^(٣٤) .

ولوحاولنا استقصاء هذا الأمر لطال بنا المقام ، ولكن نكتفي بذكر نماذج من ظلمهم لرعاياهم ومن أهمها ؛ ما فعله المعتضد بالله العبادي (٤٦١ - ٤٨٤ هـ / ١٠٦٨ - ١٠٩١) فقد ذكر المراكشي أنه قتل ابنه إسماعيل ، كما اغتصب مال رجل أعمى ، ثم قتله بعد ذلك ، وقتل رجلاً من المؤذنين من أهل إشبيلية فر منه إلى طليطلة^(٣٥) .

على هذا النحو كانت سيرة المعتضد بن عباد ومنهجه في التعامل مع

الناس، وهي بلاشك أخلاق وتصرفات بعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامي، الذي يأمر بالقسط، والعدل والإحسان والرحمة ، ولهذا وصف المراكشي تعامله مع وزرائه المقربين إليه بأنه تعامل جائر حيث قال: «...لم يزل في قطع هؤلاء الوزراء واحداً واحداً، فمنهم من قتله صبراً، ومنهم من نفاه عن البلاد، ومنهم من أماته خمولاً وفقراً...»^(٣٦) كما لم يسلم من أذاه المخلصون له الناصحون للمسلمين الذين أهمهم وضع إخوانهم المسلمين بالأندلس في ذلك العصر، ومن هؤلاء؛ العالم أبو حفص عمر الهوزني^(٣٧) الذي دعاه إلى الإصلاح، وجهاد العدو النصراني، وإلى الوحدة بين مسلمي الأندلس في ذلك الوقت، إذ كان يقوم بهذا العمل، بوساطة رسائله وقصائده التي يوجهها للناس، عامتهم وخاصتهم، يدعوهم فيها إلى الجهاد، وإصلاح الواقع .

هكذا كان منهج المعتضد ابن عباد في التعامل مع الرعية ، ومما لاشك فيه أن هذه التصرفات لم تنشأ من فراغ، بل كانت نتيجة طبيعية للبعد عن منهج الله، وتحكيمه في كل شؤون الحياة ولهذا وصفه ابن بسام بأنه : « قطب رحي الفتنة ومنتهى غاية المحنة »^(٣٨) إذ كان لا يتورع عن أي وسيلة « لتحقيق غاياته، مهما كانت مجافية لمبادئ الأخلاق والشهامة »^(٣٩) .

ولم يكن هذا السلوك خاصاً بالمعتضد بالله ، أوبدولة بني عباد، بل إنه كان منتشرأ بين معظم ملوك الطوائف ، ولم تسلم منه حتى دولة بني جهور التي وصف مؤسسها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٢٢ - ٤٦١ هـ) بأنه كان جارياً على طريقة الصالحين^(٤٠) ، وأنه كان من رجال الدهر حزماً وعزماً ودهاء ورأياً^(٤١) ، كما وصفه ابن حيان بأنه كان « جليس كتاب منذ درج، ونحيي نظر منذ فهم ، شاهداً للجماعة في مسجده ، خليفة الأئمة متى تخلفوا عنه ، حافظاً لكتاب الله ، قائماً به في سره وجهره ، متفياً للتلاوة ، لم يعثر له قط على حال يدل على ريبة ... »^(٤٢) .

لكن هذا السلوك كان خاصاً بصاحبه أبي الحزم، حيث يذكر المؤرخون أن هذا النهج قد تغير، لاسيما في عهد حفيده عبدالملك بن محمد بن جهور (٤٥٨-٤٦٢هـ) حيث كانت بطانته من السفلة وسقاط الناس، الذين تسلطوا على الرعية بالأذى حتى ضجرت من جوره وتعديه وحاشيته فنار الناس ضده حيث خلعوه وأقاموا ابن عباد مكانه ^(٤٣)، وهكذا سقطت دولة بني جهور نتيجة للضعف الذي انتابها حينما تخلى حكامها عن ترسم الخط الإسلامي، ووقعوا أسرى لشهواتهم، وملذاتهم .

وقد كان حكام دولة بني هود كسابقيهم في عدم الالتزام بتعاليم الدين فمؤسس هذه الدولة سليمان بن محمد بن هود أقام دولته حين عمت الفتنة بلاد الأندلس بعد أن قتل والي مدينة لاردة ^(٤٤) أبوالمطرف يحيى بن المنذر التجيبي ^(٤٥)، أما ابنه أحمد بن سلمان فقد تمادى في الظلم، ومن الأدلة على ذلك أنه كمن لقافلة أرسلها أخوه يوسف والي مدينة «لاردة» نجدة لأهل مدينة تطيلة ^(٤٦) التي أصابها غلاء شديد فاستغاثوا بيوسف الذي أهمه أمرهم؛ حيث ندب أهل الحواضر والثغور لمساعدتهم بالمير والأرزاق، فاجتمع إليه طعام كثير فهم في توصيله إليهم حيث انتدب لهذه المهمة بضعة آلاف من الجند وعدد من الخيل والدواب لكن أخاه أحمد كمن لهم في الطريق فلم ينج منهم إلا اليسير ^(٤٧)، كما يذكر ابن عذارى: أن أحمد بن هود أثقل كواهل رعيته بجمع الإتاوات والضرائب فاضطر أهل إحدى القرى إلى الشكوى إلى أحد العابدين المعروفين بالخير والصلاح، حيث «أعلموه بما يجب عليهم من مال الجزية» ^(٤٨) فقال لهم: معاذ الله هذا لا يكون وأنا حي في الدنيا أبداً، ثم ركب ومعه جماعة من أهل القرية، حتى وصل سرقسطة، فدخل على المقتدر، ووعظه بما جاء في الشرع فاغتاظ ابن هود لقوله وقال في نفسه: احتقرنا هذا حتى خاطبنا بمثل هذه المخاطبة، فإن تركناه ولم نعاقبه تجاسر علينا غيره، فأمر بقتله، فقتل هذا الرجل الصالح - رحمه الله -

واستمرت الجزية على سائر مدن الثغر وأعماله...»^(٤٩).

ولم يقتصر ظلم أحمد بن هود على الرعية وعامة الناس ، بل تجاوزهم إلى المقربين من أهل بيته، حيث يذكر المؤرخون أن سليمان بن هود قبيل وفاته سنة ٤٣٨ هـ قسم أعمال مملكة الثغر الأعلى التي كان يحكمها على أولاده الخمسة، حيث أعطى أحمد «سرقسطة»، ويوسف «لاردة»، و«لب» و«وشقة»، والمنذر «تطيلة» ، ومحمد «قلعة أيوب»، وقد حاول ابنه أحمد أن ينتزع مافي أيدي إخوته ويضمها إلى حوزته، فتمكن من ذلك عدا أخيه يوسف صاحب لاردة، فقد وقف في وجهه^(٥٠)، ويضيف ابن عذارى أن أحمد لم يكتف بهذا العمل المشين، بل إنه احتال على إخوانه فسجنهم وكحل بالنار بعضهم^(٥١).

كانت هذه صوراً لبعض مظاهر الظلم الذي وقع في دولة بني هود في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، وهي بلاشك تشير إلى من زاولها أو رضي بها كان بعيداً عن المنهج الإسلامي ، وغير مهتم بأحكام الدين ومثله السامية .

أما دولة بني حمود، فلم يكن حكامها بأحسن من سابقيهم ، في تطبيق تعاليم الدين، والسير على منهجه، وقد بدا هذا الأمر واضحاً في كثير من تصرفاتهم، ولعل من أوضحها تلك النزعة العنصرية التي بدت واضحة عندهم حيث ميزوا في تعاملهم مع الرعية بين جنس وآخر، كما والوا البعض على حساب الآخرين، وهذا التصرف يُعد في نظر الإسلام من أخلاق الجاهلية ، وتصرفات الظالمين ، وما يذكر في هذا مقاله ابن عذارى عن علي بن حمود (٤٠٦ - ٤٠٨ هـ) أنه لما صار الأمر إليه « قهر البرابرة، حتى صار أقل الرعية يرفع أعيانهم إلى الحكام بما شاء من وجوه الدعاوي فيجري عليهم الأحكام... وضرب عنق أحد البرابرة على حمل عنب، قال: أخذته كما يأخذ الناس...»^(٥٢).

وكان هذا التصرف في نظر المؤرخين لصالح العنصر العربي، ولكنه مالبث

أن قلب للعرب ظهر المجن، حينما أحس أن مصالحه في خطر، وأن البربر أصبحوا أكثر ثقلاً من العرب، ولهذا صبّ عليهم ضرباً من المغارم، كما جردهم من سلاحهم « وأخذت على الناس الأقطار وأظلمت الدنيا، وأبلس أهلها، وغشيتهم من الله ما غشيتهم فلزموا البيوت، وانطمروا في بطون الأرض، حتى قل بالنهار ظهورهم، وخلت أسواقهم، فإذا دنا المساء وكف الطلب عنهم انكشفوا إلى وقت الظلام لقضاء حاجتهم»^(٥٣).

ولم يقتصر ظلم هذا الرجل على الأحياء بل تجاوزهم إلى الأموات حيث كان يمثل برؤوس قتلاه^(٥٤) كما ذكر المقرئ أنه قد أخذ الناس بالإرهاب، والسطوة، كما كان بعيداً عن الفضائل^(٥٥).

ويذكر ابن عذارى أن يحيى بن علي بن حمود الذي تولى الأمر بعد أبيه (٤٠٨-٤١٣هـ) كان العجب والكبر من أهم صفاته^(٥٦)، كما كان متساهلاً في سفك الدماء، ومن أهم ما يذكر في هذا المجال، أنه حاصر عمه القاسم بن حمود في شريش، ثم أخذه أسيراً عنده مع بنيهِ، وسجنهم، ثم قتل عمه خنقاً^(٥٧)، وكان يحيى بن علي معاقراً للخمر، مدمناً على اللهو مما أشغله عن الرعية، ومكّن الخصوم منه^(٥٨) حيث كان يخرج للقاء العدو وهو سكران^(٥٩).

ويذكر ابن حيان أن محمد بن إدريس الحمودي (٤٣٨ - ٤٤٤هـ) من زعماء دولة بني حمود المتأخرين، كان سفاكاً للدماء، حيث أطلق يده في قتل البربر الأمر الذي دفع أمراء القبائل إلى العمل على التخلص منه حيث سموه فمات^(٦٠).

أما إدريس بن يحيى المتسمى بالسامي (٤٤٤هـ) فكان لا يصحب ولا يؤثر الأكل ساقط، كما كان لا يحجب حرمة عنهم^(٦١).

هكذا كانت حالة أولئك القوم، فقد ابتعد حكامهم في كثير من تصرفاتهم

عن أخلاقيات الإسلام وتعاليمه حتى عمت الفوضى وزادت الفرقة، وتأصل حب الذات^(٦٢)، كما اشتهر بعضهم بالكبرياء، وحب المدح، والتعالي على الناس، وفي هذا يقول المقرئ « وكان بنو حمود ... إذا حضرهم منشد لمدح، أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب، والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة... »^(٦٣).

وعلى هذا النهج سارت دولة بني خزرون (٤٠٢-٤٦١هـ) حيث كان مؤسسها أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري (٤٠٢-٤٢٠هـ) فتاكاً هتاكاً قتالاً سفاكاً، كما كان ابنه القائم (٤٢٠-٤٦١هـ) جائراً حادفاً^(٦٤).

وقد ذكر ابن عذارى أن هذا الظلم، كان سبباً قوياً من أسباب سقوط دولتهم، حينما حاصرهم المعتضد بن عباد؛ حيث تخلى عنه أصحابه فافتض ملكه، وعجل هلاكه، وذلك سنة إحدى وستين وأربعمائة^(٦٥).

كما ذكر ابن حيان أن عبد الملك بن عبد العزيز بن الناصر بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر صاحب شاطبة كان «منهمكاً في الشراب، غارباً عن الخصال المحمودة، مع رقة الديانة، ونقص المروءة وكثرة الاستهمال، والانحطاط في مهاوي اللذات، لا يُصغي لوعظ واعظ، ولا يقبل لنصح ناصح، أداه ذلك إلى خلع وزوال ملكه»^(٦٦).

أما عبد الملك بن هذيل (٤٣٦-٤٩٦هـ) فقد وصفه ابن حيان بأنه سيئة الدهر، وعار العصر، جاهلاً لا متجاهلاً، وخاملاً لا متخاملاً، قليل النباهة، شديد الإعجاب بنفسه^(٦٧).

وقد انتقد ابن عذارى الفتح بن خاقان، حينما أثنى عليه في كتابه قلائد العقيان، حيث قال: « فأثنى عليه بما ليس فيه من المحاسن ووصفه بصفات ليس هو بأهل لها... »^(٦٨).

وحينما توفي، خلفه ابنه حسام الدولة يحيى بن عبد الملك (٤٩٦-٤٩٧ هـ) وقد سلك مسلك أبيه ؛ حيث أساء معاملة الناس، كما كان مدمناً على الخمر ضعيف العقل ، وهذا مما عجل بنهايته وأدى إلى خذلانه^(٦٩) .

أما باديس بن هلال بن أبي قره، الذي بايعه أهل رُنْدَة حينما أسر المعتضدُ بن عباد والده هلالاً وأودعه السجن ، فقد كان فاسقاً مجرمًا حيث سام الناس سوء العذاب إذ نهب أموالهم ، كما اعتدى على أعراض نسائهم وبناتهم حيث أباح لرجاله الحرم، فكانوا يأخذون النساء من أزواجهن، والبنات من آبائهن^(٧٠) .

وكان بنوذي النون حكام طليطلة كسابقهم في السير حسب أهوائهم دون وازع ديني أو خلقي، حيث لجوا في الفتنة، وجنحوا إلى خذلان المسلمين في الأوقاف الصعبة والساعات الحرجة^(٧١) فإن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (٤٢٩-٤٦٧ هـ) « ذهب به الطمع الخائب كل مذهب، وغره الأمل واتبع الباطل »^(٧٢) .

وحتى بنو الأفطس الذين وُصفوا بالشهامة والشجاعة والاهتمام بالقضايا العلمية^(٧٣) لم يتخلصوا من هذا الضعف إذ كان محمد المظفر بن الأفطس (٤٣٧-٤٦٠ هـ) من المتهمين باقتناء الوصائف الملهيات حيث كان يسعى لجلبهن مهما كانت قيمتهن حتى اشتهر بين الناس بالبطالة والانشغال بهن على الرغم من كون الأعداء والخصوم يحيطون به من كل جهة^(٧٤) .

ومن صور ضعف الالتزام بمبادئ الدين؛ الخلاعة ، والمجون ، التي استشرت بين ملوك الطوائف حتى أصبحت خلقاً مألوفاً عند الكثيرين . وهي بلاشك معول هدم ونذير نهاية يقول ابن خلدون: « إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة، حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل ، وسلوك طريقها، وهذا ماحدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه »^(٧٥) .

هكذا كانت حالة أولئك القوم ، فقد تخلص الكثير منهم عن تعاليم دينه التي حكم بها أسلافهم الأندلس، حيث صغرت في نفوسهم تلك المبادئ، ولذا قلّ اهتمامهم بها، وقد أدرك هذا التقصير ملوك الطوائف أنفسهم ، ولهذا اعترف بعضهم بأن ماحل بهم من ضعف وفرقة وتنازع إنما كان بسبب عدم تمسكهم بتعاليم الدين ، ومن اعترف بهذا صراحة المتوكل ابن الألفس (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ) في رسالته التي بعث بها إلى ملك قشتالة الفونسو السادس (٤٦٥ - ٥٠٢ هـ / ١٠٧٢ - ١١٠٩ م) وكان جاء فيها « ... أما تعيينك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم فبالذنوب المركوبة » ^(٧٦) .

كما أقر بهذا الأمر المعتمد بن عباد (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) في الرسالة التي أرسلها للملك القشتالي ، وجاء فيها : « ... ومتى كانت لأسلافك الأقدمين ، مع أسلافنا الأكرمين ، يد صاعدة أو وقفة متساعدة إلا ذل تعلم مقداره ، وتحقق مناره ، والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالخمر ، لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ظنوا المعازل تعقل ، والدول لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسألة ما أوجب القعود عن نصرتهم وتدبير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتينا في أنفسنا ، وفيهم من ترك الحزم وإسلامهم لأعدائهم ، والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك » ^(٧٧) .

وقد تنبّه لهذا الأمر الشعراء والكتاب ، فبينوا أن حقيقة ما أصابهم إنما كان بسبب بعدهم عن منهج الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا يقول ابن العسال ^(٧٨) :

ولقد رمانا المشركون بأسهم	لم تخط لكن شأنها الأصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها	لم يبق لاحبل ولا بطحاء
ماتت قلوب المسلمين برعبهم	فحماتنا في حربهم جنباء
لولا ذنوب المسلمين وأنهم	ركبوا الكبائر ما لهن خفاء

ماكان ينصر للنصارى فارس أبداً عليهم فالذنوب الداء
فشرارها لا يختفون بشرهم وصلاح فتحلي الصلاح رياء
وقد أدرك هذا الأمر العدو النصراني المتربص، حيث قال أحد قادتهم :
« إن القوم لادين لهم ، ولاشجاعة، ولاعقول معهم ... »^(٧٩)

وهكذا تمخض عن ذلك الواقع غياب الوازع الديني مما أظهر الفساد، وكثرة الضغائن والأحقاد عند جميع الناس، فضلاً عن ملوك الطوائف، وهذا مما أثر على واقع حياة الناس^(٨٠) ولهذا وصف ابن حيان سنوات الفتنة في عصر ملوك الطوائف بأنها : « شداداً نكدات، صعاباً ، مشؤومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولانتم سرور، ولافقد محذور، مع تغير السيرة وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، واعتلاء العصبية ، وظعن الأمن، وحلول المخافة... »^(٨١) .

وبعد هذا العرض السريع ، فإنه بوسعنا أن نقول: بأن ضعف الالتزام بمبادئ الدين وتعاليمه، عند كثير من المسلمين « حكاما ومحكومين » في عصر ملوك الطوائف، كان من العوامل القوية والمباشرة التي أدت إلى ضعف المسلمين هناك، ويتأكد هذا الأمر إذا تذكرنا أن المسلمين لم يدخلوا تلك الديار ثم يحكموها وهم أقوياء أعزاء إلا حينما كان شرع الله مهيمناً عليهم ، ومحكما في جميع شؤون حياتهم .

وقد أدرك هذا الأمر النصارى قديما وحديثاً، حيث قال أحد قادة لذريق حينما وصف الجيش الإسلامي الفاتح : « إنه نزل بأرضنا قوم؛ لاندري أمن السماء نزلوا، أم من الأرض خرجوا »^(٨٢) ، وهذه المقولة تدل بلاشك على أن المسلمين كانوا ملتزمين بتعاليم الدين مما جعلهم يتمتعون بروح معنوية عالية ، جعلت العدو النصراني يشك في حقيقتهم، والحق ماشهدت به الأعداء ! .

أما المحدثون من النصارى، فقد أكثروا الحديث عن قوة المسلمين في بلاد الأندلس، وربطوا ذلك - قوة وضعفا - بقرب المسلمين أوبعدهم عن منهج الله ولعل مقولة «كوندي» تغنيانا عن بسط القول حيث يقول : «العرب هوواً من بلاد الأندلس حينما نسوا فضائلهم التي دخلوا بها وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والاسترسال في الشهوات»^(٨٣).

ثانيا : - انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس

كان المسلمون الفاتحون لبلاد الأندلس في سنة ٩٢هـ (٧١١م) يهدفون إلى دخول تلك الديار؛ لنشر دين الله فيها، ثم ضمها إلى الدولة الإسلامية؛ لتكون إحدى ولاياتها، وقد تم لهم ذلك؛ حيث أصبحت بلاد الأندلس، مع بلاد المغرب تمثل الجناح الغربي للدولة الإسلامية الكبرى.

وبعد سقوط الدولة الأموية بالشرق، وضعف قبضة الخلافة العباسية على بلاد الأندلس، استطاع عبدالرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢هـ) أن يفر من المشرق، ويقيم دولة مستقلة عن الخلافة في تلك البلاد، ومع مضي الزمن، أحكم الأمويون في بلاد الأندلس قبضتهم على تلك البلاد، إذ أخضعوها لحكم دولة واحدة زهاء قرنين ونصف، وفي آخر عمر تلك الدولة ومع نهاية القرن الرابع الهجري اعتراها الضعف - سنة الله في خلقه - حيث بدأ بعض قادتها وولاتها يعلنون استقلالهم فيما يحكمون من بلاد.

وحينما تردت الحالة السياسية في بلاد الأندلس، وعجزت دولة بني أمية على السيطرة على الوضع هناك أعلن في ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ إلغاء الخلافة الأموية، وقيام دولة بني جهور مكانها؛ لتحكم مدينة قرطبة وماحولها^(٨٤)، أما بقية أجزاء بلاد الأندلس فقد قامت فيها دول أخرى.

هكذا انفرط عقد الوحدة بين مسلمي الأندلس، فبعد أن كانوا يخضعون

لمظلة دولة إسلامية واحدة ، وكيان سياسي موحد ، تمتد من نهر دويره شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً ، ومن البحر المتوسط شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ، تنائر هذا الكيان إلى أشلاء ممزقة ، ورقاع متناثرة^(٨٥) وقد بلغت في مجموعها ستا وعشرين دولة^(٨٦) ، وفي هذا يقول المراكشي : « وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية أن أهلها تفرقوا فرقاً ، وتغلب في كل جهة منها متغلب ، وضبط كل متغلب منهم ماتغلب عليه ، وتقسّموا ألقاب الخلافة ، فمنهم من تسمى بالمعتضد ، وبعضهم تسمى بالمأمون ، وآخر تسمى بالمستعين ، والمقتدر ، والمعتصم ، والمعتمد ، والمتوكل »^(٨٧) .

وكانت النزعة الاستقلالية قد تأصلت في نفوس أولئك القوم ، يقول ابن حيان عن إسماعيل بن ذي النون : « ... وهو كان فرط الملوك في إثثار الفرقة ، فاقتردى به من بعده ، وأمّوا في الخلافة نهجه ، فصار جرثومة النفاق ، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن »^(٨٨) .

وقد كان لهذه الدول ثلاثة اتجاهات عصبية هي البربر في الجزء الجنوبي ، والصقالبة في شرق الأندلس ، أما باقي الأندلس فكان تحت حكم العرب^(٨٩) ، وبالرغم من ضعف تلك الكيانات فلم تكن متعاونة مع بعضها ، أو ساعية لتحقيق مصلحة المسلمين ، بل كانت المنافسة والأطماع الشخصية ، هي السمة المميزة في علاقاتها فيما بينها ، وقد صور ابن الخطيب تلك الحالة بقوله : « وجعل الله بين أولئك الأمراء «ملوك الطوائف» من التحاسد ، والتنافس ، والغيرة ، مالم يجعله بين الضرائر المترفات ، والعشائر المتغايرات ، فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ على التعاضد عزم ، ولا توجه إلى الاستكثار قصد... »^(٩٠) .

كما قال عنهم ابن أبي دينار : « إنما أهلكهم التحاسد ، واختلاف الكلمة »^(٩١) أما ابن حزم ، فقد عد واقعهم بأنه من الفضائح التي لم يسبق مثلها ، والتي دلّت على

ضعف دولة المسلمين هناك^(٩٢) .

وهكذا تبدوا لنا معالم سياسة ملوك الطوائف الداخلية والخارجية على حد سواء ، حيث لم تسترشد النهج الإسلامي الذي يقوم على رفع شأن الإسلام والمسلمين ، ومقاومة الخطر النصراني ، بل أصبح وأضحى جل اهتمامهم بالأمور الثانوية التي تتنافى مع الهدف السامي ، الذي دخل من أجله المسلمون الأندلس^(٩٣) ، وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر ملوك الطوائف^(٩٤) أو عصر الفتنة^(٩٥) ، أو الفرق^(٩٦) ، كما أطلقوا على مؤسسي هذه الكيانات لقب «زعماء الفتنة»^(٩٧) ، أو «أمراء الفرقة الهمل»^(٩٨) .

أما ملوك الطوائف فكما اقتسموا أراضي الدولة الأموية ، فقد أعلنوا استقلالهم عن أي سلطة ، وكان شعارهم « أحق الناس بالملك من استقل به ، والله ما أولي غير نفسي ، ولا أقوم إلا بسلطاني ، ... والله لونازعني سلطاني هذا الصديق لقاتلته ، ولما سلمت له »^(٩٩) .

ولم يكتفوا بذلك بل إنهم اقتسموا ألقاب الخلافة ، وتوزعوا فتلقبوا بالناصر ، والمنصور ، والمعتمد ، والمعتضد^(١٠٠) ، وقد صور ذلك الواقع الشاعر الأندلسي ابن رشيق حينما قال :

ممايزه دني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد^(١٠١)

كما تحدث عن واقع أولئك القوم ابن حزم ، فقال والأسى والحسرة يملآن فؤاده ، بسبب ما حل بمسلمي الأندلس آنذاك : « فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها أربعة رجال في ثلاثة أيام في مثلها ، كلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين ، ويخطب لهم فيها في زمن واحد ... »^(١٠٢) .

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر^(١٠٣)

وكانت السمة الغالبة في علاقات ملوك الطوائف فيما بينهم هي العداء المستحكم ، والخصام الدائم ، حول المصالح الذاتية ، فالكثير منهم لاهم له إلا السعي لتحقيق مصلحته ، وإشباع أنانيته ، ونشبت أقدامه في السلطة على حساب مصلحة المسلمين ؛ حيث قامت سياستهم الداخلية على السعي للتوسع على حساب القوى المجاورة مهما كانت الوسيلة المؤدية إلى ذلك ، سواء أكان ذلك بالحرب أم الخيانة أم المؤامرات ، أم غيرها .

وهذا بلاشك مما أوقع أولئك القوم في حيرة وقلق حيث يدرك المتتبع لتاريخ ملوك الطوائف ماوقع بينهم من مصادمات حرية امتد بعضها عشرات السنين ، ولم يكن هدفها نصرة مظلوم ، أو إحقاق حق ، أو رد معتد ظالم ، بل كانت غايتها الرغبة في توسيع رقعة الأرض ، ومد ظل الملك والسلطان أو القضاء على ما يرى من الدول المجاورة لضم أشلائها إلى مملكته ، ولقد حرصت دويلات النصارى منذ نشأتها على إشعال الحرب الأهلية بين المسلمين هناك ؛ لأن ذلك يحقق مصلحة كبيرة لتلك الدويلات ^(١٠٤) .

بل ربما كان الهدف دون ذلك وهو السعي لتحقيق المصالح الذاتية ولوعلى حساب مصلحة الدين والوطن ، وكأن الأندلس إنما وجدت له ، مهما كان قصير العمر ، ذليل المكانة مهزوز القواعد ^(١٠٥) ، ولهذا جعل الله بين أولئك الملوك والأمراء ، من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات حيث لم يتعاونوا على بر أو تقوى ، أو يسعوا لمصلحة إسلامية ، بل انصبت كل جهودهم على توفير ما يخدم مصالحهم الخاصة دون مصلحة المسلمين ^(١٠٦) ، وهذا مما أظلم الجو بينهم وبين رعاياهم ، كما أوجد فجوة كبيرة بين ذينك الطرفين .

كأن بلادهم كانت نساء تطالبها الضرائر بالطلاق ^(١٠٧)

وقد وصف أحدهم بأنه جرثومة النفاق وأول من استن سنة العصيان والشقاق

ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن^(١٠٨) .

ولهذا قال عنهم ابن حزم: « إن كل مدبر مدينة ، أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله ، وساع في الأرض بالفساد للذي ترونه عيانا، في شتمهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم ، وإياحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورة لاتبيح ما حرم الله غرضهم فيها استخدام نفاذ أمرهم ونهيمهم^(١٠٩) .

أما ابن عبد البر ؛ عالم الأندلس المشهور، فقال واصفاً تلك الحالة : «.... فصار كل من غلب منها - يعني الجزيرة الأندلسية - على موضع ملكه استعبد أهله ، وكثر فيها الأمراء فضعفوا وصاروا خولاً للنصارى^(١١٠) .

هكذا كانت الحالة السياسية لبلاد الأندلس فأشلاء الدولة الأموية تقاسمها العشرات من الأمراء والقادة .

أمور لوتدبرها حكيم إذا لنهى وهيب ما استطاعا^(١١١)

ومما لاشك فيه أن تلك التصرفات الحمقاء التي نهجها ملوك الطوائف سواء في علاقاتهم فيما بينهم ، أومع رعاياهم ، أفقدهم الثقة بقاعدتهم الشعبية، فانسعت الهوة فيما بينهم ، مما زاد من تصدع الوحدة السياسية بين المسلمين هناك ، بل إنه نتيجة لهذا الأمر أصبح الناس ينقادون لأي صوت يظهر، أو راية ترفع ضد أولئك القادة ، والشواهد هنا كثيرة حيث حفلت كتب التاريخ الأندلسي بذكرها، ومنها ما ذكره ابن الكردوبوس من أن القادر بن ذي النون (٤٦٧-٤٧٨هـ) حاكم طليطلة، استنجد بالملك القشتالي الفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ/

١٠٧٢-١١٠٩م) لقمع إحدى الثورات التي ظهرت ضده فطلب منه الملك القشتالي أن يمده بمال مقابل نجدة ، فجمع القادر الرعية وقال لهم : « أقسم لئن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين ؛ لأجعلن عنده رهنا جميع من عندكم من العيال والبنين»^(١١٢) .

ولما سمع أهل طليطلة ماقاله لهم القادر ، لم يجبه أحد منهم بحرف غير أبي شجاع بن لبون^(١١٣) ، فقد أنكر عليه هذا العمل وقال له: « لقد خلعت نفسك بما قلت، وبما أزمعت عليه ، وعولت ، ففسدت نفوس الجماعة ورأوا أنه لا تجب لهم عليه طاعة ، وبعد هذا الموقف ثار أهل طليطلة ضد القادر سنة ٤٧٢هـ حيث كاتبوا ابن الأفطس ففر القادر من تلك المدينة لما أحس بالخطر إلى وبدة^(١١٤) .

ومن الشواهد - أيضاً - ما فعله أهل قرطبة إزاء حاكمهم عبد الملك بن جهور ، حينما قدمت إليهم فرقة من جيش ابن عباد لنصرتهم ضد ابن ذي النون الذي هاجمهم في عقر دارهم ، فلما انتهت مهمة الجيش العبادي ، وهموا بالخروج من قرطبة بعد رحيل جيش ابن ذي النون عنها ، أخذ أهل قرطبة^(١١٥) « يناشدونهم الله؛ ألا يبرحوا حتى يقبضوا على الغوي الظالم أميرهم عبد الملك بن جهور ، ويحبسوا البلد على سلطانهم ابن عباد»^(١١٦) .

وقد ذكر المؤرخون أن الجيش العبادي لم يبرح مدينة قرطبة حتى أسقط حكم بني جهور ، وأقام على أنقاضه حكم بني عباد في تلك المدينة وماجاورها^(١١٧) .

هكذا كانت حالة أولئك القوم ، فالوحدة السياسية بين المسلمين قد انعدمت ، والفوضى قد عششت بل فرخت في جميع أوطانهم ، كما أن التنازع على السلطة والسلطان قد هيمن عليهم ، فأصبح هو هاجسهم الدائم ، كما ادعى كل واحد من قادتهم ، أو متغلب عليهم ، بأنه هو السلطان الشرعي ، وأن من عداه هو خارج عن الجماعة ، ونازع للطاعة .

ومما لاشك فيه أن هذا الشعور هو الذي دفع أهل بلنسية بقيادة القاضي ابن جحاف^(١١٨) إلى خلع طاعة القادر بن ذي النون، وفي هذا يقول ابن عذارى : «... لما ملك القادر بلنسية أحدث فيها أحداثاً، وغير أحكاماً، وأظهر منكراً كثيراً وصادق الفئش، وهاداه، وراسله فخاف أهل بلنسية منه أن يملكها للفئش كما ملكه طليطلة، فاجتمعوا وعزموا على قتله وتقديم ابن جحاف»^(١١٩) .

كانت هذه نماذج وصور تدل دلالة واضحة على واقع أولئك القوم؛ حيث الفرقة والأناية المفرطة فضلاً عن الخلافات والتناحر فيما بينهم، ولم يكن هذا الأمر خافياً على العدو النصراني المتربص لاسيما الفونسو السادس - ملك قشتالة - إذ كان يدرك حقيقة ذلك الواقع وهذا ما جعله يرسم الخطط، ويضمّر النوايا للإفادة من تلك الفوضى السياسية التي حكّت بجيرانه ، وقد أفصح عن هذه الخطط وتلك النوايا ، حينما قال لرسول المعتمد بن عباد لما قدم إليه «.... كيف أترك قوماً مجانين ؟ تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم ... وكل واحد منهم لا يسئل في الذنب عن نفسه سيفاً ، ولا يرفع عن رعيته ضيماً، ولا حيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغاني والعيدان ؟! وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً ، وأن يدعها بين أيديهم سدى »^(١٢٠) .

هكذا كان الواقع السياسي لمسلمي الأندلس، في عصر ملوك الطوائف، وقد اتضحت هذه الصورة لدى أحد الباحثين المحدثين ، مما دفعه إلى القول: بأن دول ملوك الطوائف لم تكن دولاً بالمصطلح السياسي المعروف، وإنما كانت أقرب منها إلى وحدات الأقطاع، أو عصبية الأسرة، والجماعة القبلية ، ولهذا لم تكن بها حكومات منظمة تسعى لصالح من تحت يدها من الشعوب ، وإنما كان جل همها السعي لمصلحتها الذاتية ، وتدعيم سلطاتها ، ولا يهمها بعد ذلك أن تسعد الأمة أو أن تشقى ، كما لا يهمها أن يسمو شأن الدين أو يذل حيث كانوا^(١٢١) » لا يغاورون عدواً ولا تطرقهم نائبة^(١٢٢) . بل إن أحد الكتاب النصاري ذكر أن

تناثر بلاد الأندلس بين عدد من الكيانات ، والإمارات الصغيرة، أدى إلى تراخي السلطة فيها، ومن ثم عدم سيطرتها على البلاد ، حيث فقد الحكم فيها هيئته وصرامته ^(١٢٣) .

ومما لاشك فيه أن هذا الضعف السياسي الذي حلّ بمسلمي الأندلس في عصر الطوائف قد تمخض عنه ضعف عام كان الضعف المعنوي أحد صوره ومظاهره حيث أدى فقدانهم لقوتهم السياسية إلى انتشار البلبلة والفرقة في مجتمع المسلمين مما أشعرهم بضعفهم وهوانهم عند الناس .

ثالثاً : - تخلي كثير من مسلمي الأندلس عن الجهاد في سبيل الله

كانت حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، حلقة في سلسلة جهاد المسلمين المتعددة الحلقات والأطوار، ذلك أن المد الإسلامي الذي حملة أولئك المجاهدون لم يكن حركة غزو وغنائم أو سيطرة سياسية ، بل هو موكب دعوة إصلاحية تدعو إلى الله على هدى وبصيرة، منهجها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وميدانها الأرض كلها، أما موضوعها فهم البشر جميعاً ^(١٢٤) .

وقد تأصل هذا المبدأ عند جميع المسلمين، وفي كافة الأمكنة والبقاع، حيث سارت الدعوة الإسلامية في الأرض عامرة باهرة ^(١٢٥) شعار أولئك المجاهدين قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(١٢٦) . ذلك ماسجله التاريخ خلال حركة الفتوحات الإسلامية ، التي كانت حركة انسياح في الأرض ، وتيار قوي يسعى للقضاء على الظلمات لتشرق الأرض كلها بنور ربها ^(١٢٧) .

وحينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس سنة ٩٢ هـ كان الشعور بأهمية الجهاد هاجسهم جميعاً ، كيف لا ؟ وهم قد تربوا في مدرسة عقبة بن نافع الذي

ظلّ الجهاد في سبيل الله ملازماً له حيث عبر عن ذلك بمقولته المشهورة بعد ما أتم فتح بلاد المغرب^(١٢٨) .

وفي مرحلة الفتح الإسلامي وعصر الولاة ، بقيت عند مسلمي الأندلس الرغبة في الجهاد ، والسعي من أجله ، حيث كان الجميع يهدفون إلى نشر هذا الدين ، ودعوة الناس إلى الدخول فيه مهما كانت النتائج والتضحيات ، فقد ذكر المقري أن عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢١ هـ) أحد الولاة ، كان « مثابراً على الجهاد مفتتحاً للبلاد ... وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ، ويبين له عيوب دينه ، فأسلم على يده ألفا رجلاً »^(١٢٩) .

كما يذكر المؤرخون أنه لما خيّر بين ولاية إفريقية والأندلس « اختار الأندلس ، وقال : إني أحب الجهاد ، وهي موضع جهاد ... »^(١٣٠) .

وقد وصف أحد قادة لذرير أول جيش إسلامي ولج بلاد الأندلس بالشجاعة والإقدام وعدم الخوف من الحروب^(١٣١) . كما قال أحدهم واصفاً جيش المسلمين الفاتح : « لو أن قائداً معه ثلاثمائة ألف مقاتل ، ما أحاط بالأندلس ، وأثنى فيها ، ما أحاطه موسى وأثنى في ذلك الأمد القصير بين أمم أعداء تموج حوالياً كالأبحر الزاخرة ، وما رأى الأندلس وحدها كفتاً لهمته ، بل حدثته نفسه التي قلّ مثلها في نفوس البشر ، في بعد الهمة ، أن يوغل في أرض الإفرنج ويعصف منها إلى الشرق حتى ينفذ من القسطنطينية »^(١٣٢) .

ومما يؤكد تضحية أولئك القوم ، من أجل هذه الأهداف النبيلة استشهاد أربعة من ولاة الأندلس في ميادين القتال مع النصارى^(١٣٣) .

ويدل على ذلك أيضاً موقف النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي وهو ممن دخل الأندلس مع طارق بن زياد ، ثم وفد إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بخبر الفتح هناك ، ومعه محمد بن حبيب المعافري ، فقال لهما سليمان :

ارفعوا حوائجكم ؛ فأما المعافري فرفع حوائجه ففضيت ، وأما النعمان فقال : حاجتي أن تردني إلى ثغري ولاتسألني عن شيء ، فأذن له ، فرجع ، واستشهد في أقصى ثغور الأندلس»^(١٣٤) .

ولم يكن هذا النهج خاصاً بالوالي عقبة بن الحجاج بل كان منهجاً عاماً سلكه غيره من ولاة الأندلس في تلك الفترة حيث ذكر صاحب «أخبار مجموعة» ما يؤكد ذلك حينما قال: «وكان من وصفنا من الولاة يجاهدون العدو ويتوسعون في البلاد حتى بلغوا فرنجية وحتى افتتحت عامة الأندلس»^(١٣٥) .

ومما لاشك فيه أن تلك الأهداف السامية، إلى جانب الأخلاق النبيلة، وحسن المعاملة هي التي جعلت سكان شبه جزيرة إيبيريا، يشعرون بأن دخول المسلمين لبلادهم إنما هو فتح حضاري وأخلاقي، قبل أن يكون فتحاً عسكرياً، أو سياسياً، وهذا ما جعلهم يقبلون على الدخول في هذا الدين بصورة جماعية، وبشكل فاق التصور لم يستوعبه إلا من شاهده وعاش أحداثه، إذ ذكر المؤرخون أن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) رحمه الله ، كان من رأيه أن ينقل المسلمين عن تلك الديار وذلك لانقطاعهم بها وبُعدهم عن أهل كلمتهم ولهذا طلب من السماح بن مالك أن يكتب له عن واقع المسلمين هناك^(١٣٦) ، فكتب إليه : « يُعرفه بقوة الإسلام ، وكثرة مدائنهم ، وشرف معاقلمهم»^(١٣٧) فلما بلغه هذا الأمر أضرب عن ذلك، وعين السماح بن مالك والياً عليها^(١٣٨) .

ومما لا ريب فيه ، أن هذا الأمر ما كان ليتم لولا توفيق الله أولاً ، ثم جهود أولئك الجند الذين كانوا « في جهاد مستمر لسنوات ، ماعرفوا كللاً ، ولا كسلاً ، فالدوافع ثرة قوية لاتنفد، متولدة جديدة لاتتوقف استمداداً من الإيمان بالله سبحانه مصدر القوى، واتصالاً بالإسلام العامر المعمر، استشهد غير واحد في أيام التروية أو

عرفة ورمضان»^(١٣٩).

بهذا المستوى كان واقع مسلمي الأندلس في عهدي الفتح (٩٢ - ٩٥هـ) ثم الولاة (٩٥ - ١٣٨هـ)، وحينما قامت الدولة الأموية في بلاد الأندلس (١٣٨ - ٤٠٠هـ)^(١٤٠) كانت عمليات الجهاد في سبيل الله هاجس الكثير من أمرائها وخلفائها، بل وحتى عامة الناس فيها، فالداخل قبل أن يكمل بناء دولته الناشئة جمع شتات القوى الإسلامية التي كانت تقاوم النصارى، كما نظمها حيث أصبح نهر دويرة حاجزاً بين المسلمين والنصارى في الشمال، ونشأت على طوله سلسلة من الثغور الإسلامية لتكون مركز جهاد دائم^(١٤١)، ثم واصل الحملات الجهادية ضد الممالك النصرانية المتاخمة لدولته^(١٤٢).

وقد سار خلفاؤه من بعده على هذا المنهج، حيث كان الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠هـ) «من أهل الخير والصلاح، كثير الغزو والجهاد»^(١٤٣)، وقد لقي اهتمامه هذا قبولاً لدى الناس، فحينما أعلن الجهاد وقرئ منشوره في الجوامع، تجمع لديه المجاهدون حتى بلغوا مائة ألف مقاتل^(١٤٤).

كما ذكر المؤرخون أنه بالرغم من المآخذ التي سجلها التاريخ على الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ) إلا أنه كان أول من جند بالأندلس الأجناد، وجمع الأسلحة والعدد^(١٤٥)، كما قالت عنه إحدى النساء حينما أجاب استصراحها به «والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف، فأعانه الله وأعز نصره»^(١٤٦).

وكان الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ) غزاه لأهل الشرك والاختلاف، وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر، يقاتل في سبيل الله^(١٤٧) وعلى هذه الحال كان الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) حيث كان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب^(١٤٨)، كما كانت له في جهاد العدو

أما الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) فكان كثيراً ما يخرج الكتب إلى الولاة، والقواد، والعمال، بنواحي الأندلس يأمرهم بارتباط الخيل ، والقيام عليها ، والتكثير منها ، والاستعداد بالعدد ، والأسلحة ، والآلات للجهاد في سبيل الله^(١٥٠) .

هكذا كان واقع زعماء دولة بني أمية ، وحينما آل الأمر إلي المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٩هـ) وذلك خلال فترة حكم هشام الثاني بن الحكم المستنصر حيث أصبح هو المتصرف الوحيد في شؤون الدولة أولى هذا الجانب اهتماماً كبيراً؛ إدراكاً منه لأهميته في حفظ هيبة الأندلس أمام جيرانها النصارى ، ولكي يحظى بهذا العمل بمنزلة عند عامة أهل الأندلس وخاصتهم ، الذين كانوا يعدون القيام بالجهاد من أولى الواجبات ، وأهم المسؤوليات لمسلمي الأندلس^(١٥١) ، وقد غزا المنصور سبعاً وخمسين غزوة ، دوخ خلالها النصارى المتربصين ؛ كما أعاد للمسلمين اعتبارهم ، وهيبته ، ولهذا لقبه ابن بسام بذي العزة والسطوة^(١٥٢) .

ولما سقطت الدولة الأموية ، وأقام على أشلائها ملوك الطوائف عدداً من الدويلات المضطربة ، نسوا هذا الواجب ، وضيعوا تلك الأمانة بل إن بعضهم صار هاجس الجهاد عنده مفقود ، وحتى مجرد التفكير فيه منعدم ، فضلاً عن القيام به أو الدعوة إليه ، وهنا يسأل كثير من الذين درسوا تاريخ ملوك الطوائف ما الذي غير ذلك الواقع وبذل تلك الحال ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من بيان أن هذا الأمر لم ينشأ من فراغ كما لم يكن وليد يومه وليلته ، وإنما تمخض عن عدد من العوامل والأسباب التي تضافرت على خلق تلك الروح الانهزامية ، وكان من أهمها مايلي :

١ - ضعف الوازع الديني عند كثير من ملوك الطوائف .

٢ - الأتانية وحب الذات .

٣- الجبن والخور الذي أصاب كثيراً من الناس .

وفي الصفحات الآتية سنفصل القول في بيان هذه الأسباب ومدى أثر كل واحد منها على واقع الجهاد آنذاك .

١ - ضعف الوازع الديني عند كثير من ملوك الطوائف

مما لا شك فيه أن الوازع الديني عند المسلمين كان هو الموجه الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها منذ أن جاء الرسول ﷺ بهذا الدين، حيث استشعر المسلمون مسؤوليتهم إزاءه وضرورة تبليغه للناس أجمعين، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١٥٣) .

ولعل مقولة ربعي بن عامر أمام ملك الفرس، توضح لنا بجلاء تأصل هذا المفهوم عند المجاهدين المسلمين؛ فقد قال حينما وقف أمام رستم عشية معركة القادسية: « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، لندعوهم إليه » (١٥٤) .

ولم يكن هذا الشعور خاصاً بإقليم معين أوفئة دون أخرى من المجاهدين المسلمين بل إنه شعور عام تأصل عند كل من انصهر في بوتقة الإسلام؛ وإذا كان القائد ربعي بن عامر، قد أبان هذا الهاجس في تلك المقولة وهو من قادة المجاهدين في المشرق الإسلامي، فإن مجاهدي الغرب الإسلامي قد أوضح هذا الأمر عنهم عقبة بن نافع في كلمته التي قالها بعد ما أتم فتح بلاد المغرب حيث يذكر ابن عذارى أنه بعد ما أتم فتح بلاد المغرب الأقصى سار حتى بلغ البحر المحيط فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال :

«يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعاً عن دينك ، مقاتلاً من كفر بك» ، ثم قال لأصحابه انصرفوا على بركة الله فجلا الناس أمامه بكل ناحية هارين ، وخافه المشركون أشد مخافة، حتى أن قلوبهم تنخلع لذكره^(١٥٥) ، كما يذكر ابن عذارى أن عقبة كان يقول : « اللهم إنك تعلم أنني لم أطلب إلا ما طلب عبدك ووليك ذو القرنين ألا يعبد في الأرض غيرك »^(١٥٦) .

بهذا المستوى كان أولئك القوم يحملون لواء الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، لاترهبهم الجيوش الحاشدة ولا تنفرعهم قوة العدو ، مهما كانت . يخوضون أشرس المعارك بلا هيبة ، ويقذفون أنفسهم في دائرة الموت بلا تردد ، وكيف يخشى أو يخاف من وهب نفسه لله ، وهو يعلم أن له في عمله إحدى الحسينين ، فإن مات في سبيل الله فالى الجنة ، وإن انتصر فلإعلاء كلمة الله ، وهذا ما جعلهم يقودون الجيوش ضارين أروع أمثلة الشجاعة، فهم بالإضافة إلى شجاعتهم في ميدان الجهاد كانوا نماذج حية للصبر ، والحلم والعفة ، والبعد عن الذات ، والتعالي عن المصالح الخاصة .

هكذا كان شعور المجاهدين الأولين ، بل هكذا كان واقعهم فحب الجهاد في سبيل الله قد تأصل في نفوسهم حتى أصبح هاجساً ملازماً لهم ، فعلى ضوءه كانوا يسيرون ، وحسب مقتضاه كانوا يخططون ، ومما لاشك فيه أن هذا الشعور وذلك الهاجس لم ينشأ من فراغ ، بل كانا مع غيرهما من المبادئ والأخلاق السامية نتيجة طبيعة وسلوك مألوف لمن انصهر في بوتقة الإسلام وعاش في ظل حكمه .

ولما دخل المسلمون الأندلس كانوا قد انصهروا في تلك البوتقة ؛ وتربو في تلك المدرسة، ولهذا ساروا على ذلك المنهج ، كما سار عليه بعدهم معظم زعماء الدولة الأموية ، حيث كان الوازع الديني عند الجميع متعالياً على كل النزعات .

وفي عصر ملوك الطوائف بدأ هذا الوازع يخبو من نفوس الكثيرين من أفراد المجتمع الإسلامي ، وهذا مما غير حال الناس، وبدل نياتهم وأهدافهم، وقد كان من بين القيم التي فقدوها في ظل ذلك العصر هاجس الجهاد، والشعور بأهميته، حيث انطفأت تلك الشعلة في خضم السعي للذات، والاهتمام بالمصالح الدنيوية دون غيرها، وقد وصف ابن حيان تلك الحالة بقوله: « فدهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة وسفسف أخلاقهم، واجتث أعراقهم، وسفه أحلامهم، وخبث ضمائهم فاحتوى عليهم الجهل... وأركستهم الذنوب ووصمتهم العيوب... يعللون أنفسهم بالباطل...»^(١٥٧).

أما ابن عذارى فذكر أنه في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة تميز ملوك الطوائف وعمتهم الفرقة مامنهم من يحذر الآخرة^(١٥٨)، كما قال في موضع آخر، واصفاً أحدهم حينما خرج للقاء العدو الذي داهم بلاده « فخرج بالعين والنفير والجم الغفير، يحسب الطعن كالقيل، ويظن السيوف كالمنقل، ويتخيل صليل الحسام بين القصرتين والهام»^(١٥٩).

أما ابن الكردبوس فقد ذكر أن ملوك الطوائف كانوا مشغولين بشرب الخمر، واقتناء القيان، وركوب المعاصي، وسماع العيdan، كما أنهم كان همهم التنافس وشراء الذخائر الملوكية، وهذا مما أضعفهم جميعاً، حيث ذل الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية^(١٦٠).

هكذا نرى كيف أن ضعف الوازع الديني عند مسلمي الأندلس في عصر ملوك الطوائف قد تمخض عنه ضعف الجهاد، والتخلي عن مقاومة التصاري، وهذا بلا شك بعد نتيجة طبيعية لتغير الحال، ودنو الهمم والأهداف؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وقد أدرك هذه الحقيقة العدو النصراني المتربص بالمسلمين آنذاك، حيث قال أحد قادتهم بعد إحدى المعارك التي خاضها ضد المسلمين: « كنا نظن أن

الدين والشجاعة والحق عند أهل قرطبة، فإذا القوم لادين لهم، ولاشجاعة، ولاعقول معهم»^(١٦١).

٢ - الأنانية وحب الذات

إن مما اتسم به عصر ملوك الطوائف، الأنانية المفرطة وحب الذات المستشري بين الناس، ولاسيما عند عليّة القوم، فالكثير منهم لاهم له إلا السعي من أجل تحقيق مصلحته الذاتية وإشباع أنانيته، وتثبيت أقدامه في السلطة على حساب المسلمين ومصلحتهم، وكأن الأندلس إنما وجدت له، على الرغم مما اتصفوا به من الضعف وقلة الإمكانيات^(١٦٢).

إذ أصبح السعي للذات أمر طبيعي مألوف بل ظاهرة ألفها الكبير وتربى عليها الصغير، وقد قام برصد هذه الظاهرة عدد من الكتاب والمؤرخين المعاصرين لها، الذين عرفوها عن قرب، بل ربما اكتوى بعضهم بنارها ولظاها، ومنهم؛ ابن حزم الذي ذكر أن ملوك الطوائف إنما يسعون ويعيشون من أجل مصالحهم الذاتية، وليس من أجل مصلحة المسلمين، وأنهم يقدمون في هذا السيل، ومن أجل هذا العرض تنازلات كثيرة؛ وكان مما قاله: «والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستنجدون النصارى، فيمكنوهم من حرم المسلمين، وأبنائهم، ورجالهم، يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما أعطوه المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفاً من سيوفه»^(١٦٣).

وقد ذكر المؤرخون أن تلکم الأنانية لم ينشأ عنها انقطاع عمليات الجهاد فحسب، بل تمخض عنها - أيضاً - العمل للمحافظة على المصالح الخاصة، مهما كانت التضحية المقدمة في سبيلها، ومما يذكر في هذا أن بعضهم لكي يضمن البقاء على سدة الحكم طلب من بعض القوى النصرانية حمايته مقابل دفع أموال

طائلة لهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء القادر بن ذي النون الذي حكم بلنسية بعد أن طرده النصارى من طليطلة سنة ٤٧٨ هـ فأساء السيرة في حكم هذه المدينة إذ أعلن خضوعه للنصارى وموالاته لهم، وتقديم مبلغ مائة ألف مثقال ، في كل عام وذلك مقابل حمايتهم له^(١٦٤)، وقد أثار هذا التصرف أهل بلنسية ضد القادر بن ذي النون، ولهذا عزموا على الخلاص منه، والبراءة من النصارى وموالاتهم، وقد تزعم هذا الاتجاه القاضي ابن جحاف إذ خلعوا ابن ذي النون فاختار أهل بلنسية القاضي ابن جحاف ليكون رئيساً للجماعة بها^(١٦٥).

ولعل موقف ملوك الطوائف من مدينة طليطلة وأهلها حينما حاصروهم النصارى سنة ٤٧٨ هـ، يعطينا دلالة واضحة على أن أولئك القوم قد غرقوا في مستنقع الأنانية وحب الذات ، التي تأصلت في نفوسهم فقد ذكر ابن بسام أنه حينما حاصر النصارى مدينة طليطلة أراد أهلها المقاومة فلما أعياهم الأمر، وتوقعوا سقوط المدينة بيد الملك القشتالي الفونسو السادس ذهبوا لمقابلته فأنكر عليهم امتناعهم عنه، وقال لهم: لماذا تترددون في تسليم المدينة ؟ فقالوا له: لنا بغية ببعض ملوك الطوائف فسخر منهم ، واستدعى من خيامه رسل ملوك الطوائف، حيث لم يبق من ملوك الطوائف أحد إلا أرسل إليه يومئذ رسله، فأسقط في أيدي أهل المدينة ، وخلوا بينه وبين البلد^(١٦٦)، كما ذكر ابن الكردبوس أنه بعد أن سقطت طليطلة بيد النصارى، وجه كل رئيس بالأندلس رسله إلى الفونسو مهنئين ، وبأنفسهم وأموالهم مفتدين^(١٦٧).

هكذا كانت حالة أولئك القوم ؛ فقد غرقوا في مستنقع حب الذات ، كما انشغلوا بأنانيتهم ومصالحهم الخاصة عن مصلحة المسلمين العامة ، وهذا ما جعلهم يفرضون الضرائب، والإتاوات على المسلمين من أجل تقديمها للنصارى الذين يقومون بحماية عروشهم ، ففزع الناس ، وقلقوا ، وجعلوا يطلبون النجدة والمساعدة من أي جهة أو شخص كانوا يتوقعون، أن لديه القدرة

على إصلاح الحال ، أو تغيير الواقع .

ولعل موقف المقتدر بالله بن هود من مدينة بربرشتر^(١٦٨) حينما حاصرها النصارى سنة ٤٥٦ هـ يبين لنا بوضوح إغراقه في الأنانية حيث لم يلب استصراخ المسلمين ؛ لأن بربرشتر كانت خاضعة لأخيه يوسف المظفر^(١٦٩) .

ولاريب أن ذلك الواقع هو الذي جعل ملوك الطوائف يشعرون بأن أي دعوة إلى الإصلاح أو الجهاد إنما هي تهديد واضح لسلطانهم ، فحينما وجه الفقيه والأديب الشاعر أبو حفص عمر بن حسن الهوزني رسالة إلى المعتضد بن عباد (٤٣٣ - ٤٦١ هـ) يحثه فيها على الجهاد ، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين ، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم ، وأنه لا خلاص لمسلمي الأندلس من ذلك الواقع المظلم إلا بالرجوع إلى ميدان الجهاد والتخلي عن الذات ، وجعل مصلحة المسلمين هي المقدمة على أي اعتبار^(١٧٠) ، من غير تجريح أو إثارة ، بل بحكمة لكن ابن عباد كان له موقف سلبي إزاءها حيث عد هذا العمل نوعاً من الجرأة غير المقبولة منه .

ولم يكن هذا الأمر خاصاً بابن عباد ، بل إن الشعور بالأنانية ، وحب الذات ، كان هاجساً ملازماً لمعظم ملوك الطوائف ، ولهذا فإن أي دعوة صادقة إلى الجهاد والإصلاح كانوا يعدونها خطراً يهدد كيانهم ، كما كانوا يفسرونها على أنها صيحات تدعو للقضاء عليهم ، حتى ولو لم يعلنوا ذلك صراحة ، حيث يذكر المؤرخون أن أبا الوليد الباجي^(١٧١) لما مشى بين ملوك الطوائف داعياً إلى الجهاد ، وحثاً على توحيد الكلمة ، كانوا يجلسونه في الظاهر ، ويستقلونه في الباطن ، ولهذا سمي بمؤمن آل فرعون^(١٧٢) .

٣- الجبن والخور الذي أصاب كثيراً من الناس

كان المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس ، يفيضون حماسة لنشر الإسلام ، كما

كانت عملاً لقلوبهم رغبة صادقة في الجهاد ، ولهذا تقدموا في ميادين الوغى بكل صبر وشجاعة وإقدام ، غير هيابين ، ولا خائفين ، حيث لم ترهبهم الجيوش الحاشدة ، كما لم تفزعهم قوة العدو ، بل كانوا يقذفون بأنفسهم في ساحات الوغى بلا تردد ، وقد كان هذا الإقدام ، وتلك الشجاعة مثار إعجاب الكثيرين من النصاري ^(١٧٣) .

وقد ظلوا محافظين على هذه القوة المعنوية طوال مرحلة الفتح ، وخلال عصري الولاة ، وبنى أمية ، مع ما كان يعترئها من ضعف أحياناً ، وحينما زالت دولة بني أمية ، وقامت على أنقاضها دول الطوائف ، أفلت هذه الروح من الساحة الأندلسية ؛ لتحل محلها روح الانهزام والخور ، حيث ملأت قلوب كثير من مسلمي الأندلس خاستهم وعامتهم .

وقد اعترف بهذا الأمر المعتمد بن عباد في رسالته التي وجهها إلى الفونسو السادس - ملك قشتالة - بعد أن هدده الملك النصراني إن لم يزد في العطاء ، ومما جاء فيها « ... والذي جراك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر ، ﴿ لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ ^(١٧٤) ظنوا المعاقل تعقل والدول لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسألة ، ما أوجب القعود عن نصرتهم ، وتدير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتينا في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم وإسلامهم لأعدائهم... » ^(١٧٥) .

ولم يكن ذلك الواقع خافياً على العدو النصراني المتربص بمسلمي الأندلس آنذاك ، فقد أفصح عن معرفته الفونسو السادس - ملك قشتالة - حيث قال لرسول المعتمد عباد حينما قدم عليه : « كيف أترك قوماً مجانين ؛ تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم ؟ وكل واحد منهم لا يسئل في الذب عن نفسه سيفاً ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً ... وكيف يحل لبشران يقر منهم على رعيته

أحداً وأن يدعها بين أيديهم سدى ؟ »^(١٧٦) .

ومما لاشك فيه أن انعدام تلك الروح عند مسلمي الأندلس ، قد أفقدهم هاجس الجهاد الذي كان ملازماً لأسلافهم ، حيث يذكر ابن حزم - والذي عايش ذلك الواقع - أن الراضي منهم يطمع في الزيادة والساخط يضمّر الانتقام وأنهم قد لبسوا جلود الضأن على قلوب السباع^(١٧٧) .

وباستقراء التاريخ الحربي للملوك الطوائف نجد أنه على الرغم من كثرة حروبه وتتابع معاركه ، إلا أنه لم يكن لصالح المسلمين، بل كان في أمور تافهة ، ولم يكن هذا الأمر خافياً على شيخ مؤرخي الأندلس ابن حيان ، حيث وصف ملوك الطوائف بأنهم « ... أمراء الفرقة الهمل ، الذين هم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ، ويلبسون عليهم وضوح الدليل... ولقد ظما العجب لهؤلاء الأمراء إن لم يكن عندهم إلا الفزع إلى حفر الخنادق ، وتعلية الأسوار ، وسد الأركان ، وتوثيق البنيان ، كاشفين لعدوهم عن السوء السوداء من إلقائهم يومئذ بأيديهم إليهم أمور قبيحات... »^(١٧٨) .

وفي نص آخر بين ابن حيان هذا الأمر بجلاء حيث يذكر العلة وأسبابها ونتائجها إذ يقول:

أمر لوتدبرها حكيم إذا لنهى وسب بما استطاعا

فدهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غريلة ، وسفسف أخلاقهم وخبت أعراقهم ، وسفه أحلامهم ، واحتوى عليهم الجهل ، فلبثوا في غير سبيل الرشد ، يعللون أنفسهم بالباطل ، وذلك من أدل الدلائل على فرط جهلهم ، واغترارهم بزمانهم وبعادهم عن طاعة خالقهم ، وغفلتهم عن سد ثغره حتى ظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبجح عراض دورهم ، ويستقرئ بسائط بقاعهم يقطع كل يوم منهم طرفاً ويبيد أمة ، ومن لدينا وحوالينا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ، ما

إن يسمع بمسجد من مساجدنا ، أو محفل من محافلنا مذكر لهم أوداع لهم ، فضلاً عن نافر إليهم أو مواس لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن فتقهم ليس بمفض إلينا ، قد بخلنا عليهم بالدعاء فبؤنا بالعنا عجائب فأتت التقدير ...»^(١٧٩) أما ابن عذارى فقال في وصفه لتلك الحال : « وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له ، فلا يكاد أحد منهم يلقي نصرانياً في قرار من الأرض إلا ويوليه الدبر غير مستحي من الله سبحانه وتعالى من الفرار أمامه حتى تعود أعداء الله ذلك منهم فلا يعدون خيلهم شيئاً ...»^(١٨٠) .

وبالرغم من كون الحروب كثيرة ، والمعارك متتابعة ، عند مسلمي الأندلس آنذاك ، إلا أنها لم تكن لصالح المسلمين ، كما أنها لم تكن موجهة لأعداء الدين ، بل كانت بين المسلمين أنفسهم تناحراً على السلطة وتقاتلاً من أجلها . أما حين يُنادي منادي الجهاد فإن القوم يصيبهم الجبن ، ويحل بساحتهم الخور حتى كأن الأمر لا يعنيهم ولا يخصهم ، وفي هذا يقول شاعر الأندلس ابن العسال:^(١٨١)

ماتت قلوب المسلمين برعبهم فحمانا في حربهم جبناء^(١٨٢)

ويبدو أن هذا الضعف المتمخض عن الجبن والخور هو الذي جعل هذا الشاعر يدعو صراحة إلى الخروج من الأندلس، وترك تلك البلاد لمصيرها المحتوم حينما قال:

يا أهل أندلسٍ حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسلُّ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفت^(١٨٣)

وقد عد الدكتور عبدالرحمن الحججي هذه الدعوة إلى الرحيل بأنها الغلط بعينه والجبن الشديد والأنانية^(١٨٤) .

ومن الباحثين من يرى أن ابن العسال لم يرد ما يوحى به ظاهر الكلام ، وإنما أراد المبالغة في التنبيه والتذكير ^(١٨٥) . وعلى أي حال يبقى هذا النص شاهداً حياً ، ودليلاً قوياً على أن الفرار من أمام العدو النصراني كان هاجساً يخالج قلوب بعض مسلمي الأندلس آنذاك ، وهذا بلاشك يُعد عرضاً واضحاً من أعراض الجبن والخور الذي مُني به كثير من مسلمي الأندلس في ذلك الوقت .

ماتت قلوب المسلمين برعبهم فحماتنا في حربهم جبناء ^(١٨٦)

ومما لاشك فيه أن تلك الحالة قد أدت إلى أن يتخبط الجميع في جنبات الفوضى ، كل قد شغل بحاله وسعى لتثبيت سلطانه ، إذ إن الواحد منهم يصبح أميراً ويضحى أسيراً ^(١٨٧) .

ولم تكن تلك الحالة النفسية قاصرة على شريحة معينة من شرائح المجتمع الإسلامي بالأندلس ، بل إنها تكاد تكون شملت كل فئات المجتمع ، وهذا ما جعل آثارها شاملة ، ومعاناة الناس منها كبيرة ، الأمر الذي أنساهم واجبه الأول وهو الجهاد في سبيل الله ، والذي كان هاجساً ملازماً لأسلافهم منذ دخولهم تلك الديار .

ويضاف إلى ماسبق ما فعله بعض الشعراء والأدباء من محاولة تدليس الحقائق ، إذ زينوا للملوك الطوائف مسلك التقاعس عن الجهاد ، والذي يعتبر خيانة كبيرة للأمة المنكوبة ^(١٨٨) فقد صوروا لهم الهزيمة نصراً ، والذل للعدو وموالاته سلماً ، وإعطاء الإتاوة سياسة وشجاعة ، كما حاولوا إقناع الناس بذلك ، فلبسوا الحق بالباطل ، كما جدوا في تدليس الحقائق وإخفائها ^(١٨٩) .

وبهذا السلوك أصبح أولئك الشعراء والأدباء كالفقيه الصنيعة الذي زين لأهل الباطل باطلهم ، كما يقول ابن حزم ^(١٩٠) . بل إن أولئك الشعراء و بسبب ما يملكونه من قوة وبيان ، فاقوهم في توسيع الهوة بين الحاضر والماضي ، وفي إحاطة بعض

ملوك الطوائف بسياج من الثناء والمدح، مما أوهمهم بأنهم جديرون بما قيل عنهم ،
وأنهم كفء لما يسمعون ، وهكذا انخدعوا بما سمعوا ، وهذا بلاشك مما أصّل
الضعف في نفوسهم ومما لكهم^(١٩١) .

ويأتي في مقدمة هؤلاء الشاعر حسان المصيصي الذي مدح المعتمد ابن عباد ،
وهوّن عليه موالاته للنصارى ، ودفع الإناتاوات إليهم ومما قاله :

ولم تطو دون المسلمين ذخيرة تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيل في فك الأسارى وإنما تعاقد كفارا لتطلق مسلما
وماكنت ممن شح بالمال والقنا فنكنز دينارا وتركز لهذما
فترسله للصفّر أصفر عسجداً وإن خالفوا أرسلت أبيض معدما^(١٩٢)
وقد نهج هذا النهج الشاعر أبو بكر الداني فقال :

في نصرّة الدين لا أعدمت نصرته تلقى النصارى بما تلقى فتتخدع
تنيلهم نعماً في طيها نقم سيستفر بها من كان ينتفع
وقل ماتسلم الأجسام من عرض إذا توالى عليها الريّ والشّبع
لا يخبطُ الناس عشوا عند مشكلة فأنت أدري بما تأتي وماتدع^(١٩٣)

هكذا زين هذا الصنف من الشعراء لملوك الطوائف سوء عملهم إذ أظهره
حسناً حيث صوروا الجبن أمام العدو والتخلي عن الجهاد بأنه شجاعة وسياسة ،
ودفع الإناتاوة للنصارى بأنه بذل في سبيل الله ، ولا شك أن هذا العمل المشين لم
يكن له أثره السيئ على ملوك الطوائف فحسب ، بل تعداهم إلى بعض مسلمي
الأندلس الذين قد تنطلي عليهم بعض الحقائق فيحسبون الباطل حقاً حينما
يسمعون مثل هذا الهذيان والتدليس ، لكن فئة أخرى من الناس تنبّهت لهؤلاء
المدلسين الذين حاولوا بما قالوه إخفاء الذل والحقارة^(١٩٤) ، ونفي الجبن والخور

والتقاعس عن الجهاد، عن أولئك الخونة ، وكان من بين الذين تنبهوا لهؤلاء ابن بسام الذي عاش بين ظهرائهم فكشف خبث طويتهم ، وعدم صدقهم فيما يقولون حيث وصف عملهم المشين بأنه « مدح غرور ، وشاهد زور ، وملق معترف سائل ، وخديعة طالب نائل وهيهات ... »^(١٩٥) .

رابعاً : العصبية^(١٩٦) القبلية التي انتشرت بين مسلمي الأندلس وأثرها في تمزيق المسلمين إلى شعوب وقبائل متناحرة

كان الجند المسلمون الفاتحون لبلاد الأندلس قد انصهروا في بوتقة الإسلام، حيث كان شعارهم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(١٩٧) ولهذا كانوا لا يعترفون بفارق جنس أو لون ، بل كان معيارهم في المفاضلة بين الناس هو المعيار الإسلامي، وهو التقوى والعمل الصالح ، ولهذا انضوى الجميع تحت راية واحدة، وعملوا معاً لتحقيق هدف واحد، والجميع وبلاغضاضة تحت قيادة طارق ابن زياد^(١٩٨) ذي النسب غير العربي .

ونتيجة لهذا الشعور ، وهو التجرد عن الجنس والذات، والنزعة القبلية، والسعي لنشر هذا الدين، استطاع أولئك القوم أن يكتسحوا أرض العدو، وأن ينشروا هذا الدين في شبه جزيرة إيبيريا ، بل إنهم رأوا أن الأندلس وحدها لا تكفي، وأن عليهم أن يتوغلوا في أراضي العدو ، حتى كانت القسطنطينية هدفاً عند قائدهم موسى بن نصير^(١٩٩) ، فقد ذكر المقري أن هذا القائد : « لما توغل في الأندلس... ودوخ أقطارها ، وجمع غنائمها وأجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام دروبه ، ودروب الأندلس ، ويخوض إليه ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية مجاهداً فيهم، مستلحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة... »^(٢٠٠) .

ومما لاشك فيه أن هذا الشعور كان ناتجاً عن قناعتهم التامة وإدراكهم العميق بأن مهمة الفتح لاتنتهي عند إقليم أو جنس معين، بل كانوا يدركون بأن مهمتهم عالمية، وأن كلمة الله يجب أن تبلغ مابلغ الليل والنهار، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَكَذِيرًا﴾^(٢٠١).

هكذا كان واقع مسلمي الأندلس خلال القرن الأول الهجري، فلما انتهى ذلك القرن، وتعاقب على بلاد الأندلس عدد من الولاة في أعقاب خلافة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) بدأت عوامل الضعف تنخر في المجتمع الإسلامي بالأندلس، وكان من أشدها فتكاً به روح العصبيّة القبليّة التي ظهرت للعيان منذ العقد الأول من القرن الثاني الهجري، حيث بدأ هذا الأمر واضحاً في ولاية الهيثم بن عبيدالله الكناني (١١١ هـ) الذي أثر قومه ضد اليمانيين، مما أثار اليمانيين الذين أعلنوا العصيان ضد الدولة، فاضطر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إلى عزله ومعاقبته عقاباً صارماً^(٢٠٢).

كانت تلك بدايات ظهور العصبيّة القبليّة بالأندلس، وقد استشرت بعد ذلك بين العرب أنفسهم خلال العصر الأموي^(٢٠٣)، ولم يمض سوى وقت قصير حتى كشرت العصبيّة القبليّة بين مسلمي الأندلس عن أنيابها، وبدأت تنخر في المجتمع الإسلامي، وهذا بلاشك مما أثار على واقع المسلمين^(٢٠٤)، حيث أصبحت تشكل خطراً ضد الوجود الإسلامي هناك، على الرغم مما بذله بعض حكام الأندلس من جهود للقضاء على هذا الداء. وكان في مقدمتهم الخليفة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) حيث دفع ثمن ذلك غالياً في معركة الخندق سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) حينما تغيّرت نفوس العرب ضده^(٢٠٥).

ومما يذكر هنا مافعله المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ) فإنه حينما تولى الأمر، عزم على القضاء على أكبر خطر في هذا الميدان، وهو خطر العصبيّة القبليّة

العربية في بلاد الأندلس حيث فرق شمل القبائل العربية ، كما منع العرب من الجهاد ، وألزمهم إعطاء الأموال لهذا الغرض على قدر إمكانياتهم ، مثلهم في ذلك مثل بقية الناس ، فصار العرب رعية مثل غيرهم من الناس^(٢٠٦) .

وقد حاول سد الفراغ الذي نتج عن إقصاء العرب بجند البربر والمماليك والعبيد^(٢٠٧) . وكان المنصور يهدف من وراء هذا الإجراء إلى إضعاف خطر العنصر العربي حيث يذكر ابن عذارى أنه : « بإجازة البربر أحمل بهم أولئك الأعلام الأكابر - يعني العرب - فإنه قاومهم بأضدادهم واستكثر من أعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا منهم الظهور... »^(٢٠٨) .

وبالإضافة إلى ما سبق فقد كان يهدف أيضا إلى أن تكون جنوده من قبائل مختلفة حتى لوهمت إحدى الطوائف بالخروج عليه ونبذ طاعته غلبها بسائر الطوائف الأخرى^(٢٠٩) .

ومهما كان هدف المنصور من هذا الإجراء ، فإنه لم يكن موفقاً فيه ، حيث إن إضعاف العنصر العربي أدى إلى خلل في التركيبة الاجتماعية ، ومن ثمَّ عدم التوازن بين عناصر المجتمع ، فقد تفوق العنصر البربري ، والذي عد هذا الإجراء بأنه نصر ، ومكسب سياسي ، لا بد من الإفادة منه ، حيث صور هذا الشعور أحد قادة البربر ويدعى وانزمار بن أبي بكر البرزالي ، حينما تقدم للمنصور في إحدى المعارك « والميدان غاص بالناس ، فقال له ، بكلام يضحك الثكلى : يا مولاي مالي ولك ، أسكني فياني في الفحص ، فقال : وما ذاك يا وانزمار ؟ ، وأين دارك الواسعة الأقطار ؟ ، فقال : أخرجتني والله نعمتك ، أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ماملاً بيوتي وأخرجني عنها ، وأنا بربري مجوع حديث عهد بالبؤس.... »^(٢١٠) .

هكذا تنفس البربر الصعداء ، وقد بقوا خلال العهد العامري على تلك الحال

حتى عهد عبدالرحمن بن أبي عامر شنجول (٣٩٢ - ٣٩٩ هـ) وحينما أطل عهد المهدي سنة (٣٩٩ هـ) دخلت العصبية القبلية بالأندلس منعظفا خطيراً حيث أظهر بغضه للبربر^(٢١١) ، وبهذا فتح باب الفتنة على مصراعيه^(٢١٢) ، حيث يذكر ابن عذارى أن المهدي تشدد في دخول البربر إلى القصر ، وأمر بأن يجردوا من سلاحهم ، كما كانوا يهانون بالألفاظ السيئة ، ولم يسلم من هذا الأذى زعمائهم وكان من بين من تعرضوا للإهانة زاوي بن زبري بن مناد عند مقدمه إلى القصر مع جماعة من رجاله^(٢١٣) ، وبضيف ابن عذارى أن المهدي أمر بملاحقة البربر والفتك بهم ، كما أمر مناديه أن ينادي في الناس أن من أتى برأس بربري فله كذا « فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه ، فلم يبق تاجر ولا جندي إلا عمل مجهوده في ذلك ، ودخلوا على وسنار البرزالي وكان ممن له آثار جميلة في الجهاد ، فذبح على فراشه في داره ، ودخلوا على رجل صالح فذبح في داره ، ونهبت ديار البربر ، وهتك حريمهم ، وسبي نساؤهم »^(٢١٤) .

ويواصل ابن عذارى حديثه عن هذه المأساة حيث يذكر أن هذا الموقف من قبل المهدي ، لم يكن خاصاً بالبربر ، بل تعداهم إلى الموالي العامرية مما اضطهرهم إلى الهرب إلى شرق الأندلس^(٢١٥) .

كانت تلك بدايات ذلكم التحول الخطير بين أجناس المجتمع الإسلامي بالأندلس وعلى الرغم من أن جذور تلك الأخلاق الجاهلية قد بدت منذ زمن بعيد في بلاد الأندلس ، حيث كانت في بداية أمرها بين العرب أنفسهم ، إلا أن كثيراً من المؤرخين يحملون المهدي مسؤولية كبيرة في هذا العمل المشين ، ولهذا قال عنه ابن حيان : إنه « مفرق الجماعة بقرطبة ، ومبتعث تلك الفتنة المبيرة »^(٢١٦) . كما وصفه ابن الأبار بقوله : « باعث الفتنة بالأندلس ، وموقد نارها الخامة وشاهر سيفها المغمد وأول من أرث نارها وأورث شنارها »^(٢١٧) أما ابن عذارى فقد قال عنه إنه : « أشأم خليفة على وجه الدنيا ، وكان حجاب المهدي من

لو كي الخدم ، وأراذل المتجندة من العامة ذوي المهنة ، لم ينتقمهم ولا تخيرهم»^(٢١٨) .
ونتيجة لتلك المعاناة من قبل البربر ، فإنهم بدأوا بمناهضة المهدي ، حيث أعلنوا
الثورة ضده ، وبدأوا يخططون للإطاحة به ، فلما علم بذلك أراد التقرب إليهم
فسعى لإصلاح ما أفسده ، حيث نادى مناديه بأن : « من آذى بربريا أو تعرض له
كانت عقوبته السيف ، فكف الناس عنهم»^(٢١٩) ولم يكن هذا العفو خاصاً
بالمقيمين في قرطبة بل كان لكل البربر في بلاد الأندلس^(٢٢٠) .

وقد أظهر البربر المقيمون في قرطبة قبول هذا الأمر ، حيث حضر زعمائهم
إلى المهدي الذي كلمهم كلاماً لطيفاً وألبسهم القلانس والأردية ، وأمرهم بأن
يزيلوا الزي الذي اعتادوا أن يلبسوه ، وأن يلبسوا كباقي الناس ، فأعلنوا خضوعهم
لطاعته ، والصفح عما مضى^(٢٢١) .

أما البربر الذين كانوا يقيمون خارج قرطبة آنذاك ، والذين نزحوا منها حينما
أطلق المهدي أيدي الناس ضدهم ، فإنهم وعلى الرغم من أن المهدي قد كتب لهم
بالأمان ، فإنهم لم يأبهوا بهذا الأمر ، حيث تجمعوا في قلعة رباح ، وبدأوا ينظمون
أنفسهم ، ثم التفوا حول سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر^(٢٢٢)
وبايعوه ، ولقبوه بالمستعين^(٢٢٣) بالله ، وذلك في شوال سنة ٣٩٩ هـ^(٢٢٤) .

هكذا تطور الخلاف بين المسلمين بسبب النزعات العصبية الجاهلية ، التي نهجها
المهدي ضد البربر ، وهذا مما أدى إلى حرب أهلية بين المسلمين أنفسهم ، وقد
استغل النصارى هذا الخلاف فأذكوا ناره ، كما حاولوا قدر المستطاع الإفادة منه
وتسخيره لخدمة مصالحهم ، حيث كان سانشو غرسيه ملك قشتالة ينتظر مثل
هذه الفرصة حتى يثار للنصرانية ويستعيد المعازل والحصون التي كان عبدالرحمن
الناصر والمنصور ابن أبي عامر قد قضيا حياتهما في تحصينها وتزويدها بما تحتاجه
من مال ورجال^(٢٢٥) .

وقد جاءت الفرصة مواتية للملك النصراني فإن سليمان المستعين لم يتردد في الاستعانة به فور توليه الأمر ، حيث أرسل رسله إليه يطلب منه المدد ، والمساعدة ضد المهدي^(٢٢٦) ، ويذكر ابن عذارى أن أولئك الرسل وجدوا عند سانشو رسل المهدي يسألونه الصلح على أن يعطوه ما أحب من مدن الأندلس ، كما حملوا إليه هدية جزلة^(٢٢٧) .

بهذه العروض الدنيئة التي تلقاها الملك القشتالي من لدن بعض زعماء مسلمي الأندلس الذين غرقوا في مستنقع العصبية القبلية ، أصبح ذلك الزعيم هو سيد الموقف، حيث رأى إجابة رسل المستعين ، بعد أن اشترط على البربر أن يعطوه إذا ظفروا ما أحب من مدائن الأندلس ، فقبلوا ذلك^(٢٢٨) .

ويبدو أن سانشو أجاب البربر ، ولم يجب أهل قرطبة مؤيدي المهدي بسبب كون البربر أقلية ، وإمكاناتهم كانت قليلة ، فلولم يؤيدهم ربما لا يستطيعون الصمود أمام خصومهم ، وبالقضاء عليهم تنتهي الحرب الأهلية بين المسلمين ، وهو ما لا يريده النصارى ، بل كانوا يريدون إذكاء تلك الحرب حتى تأكل الأخضر واليابس مما يضعف المسلمين جميعاً، ويدل على هذا الأمر أن الملك النصراني فور اتفاه مع البربر أمدهم بألف عجلة من الدقيق ، والعقاقير ، وأنواع المأكّل ، وألف ثور ، وخمسة آلاف شاة ، وجمع ما يصلحهم حتى الفحم والعسل ، والسروج والشفق للباسهم وهذا مما قوى موقف البربر^(٢٢٩) ، وهكذا تمكن النصارى من إذكاء نار الحرب بين مسلمي الأندلس ، وهذا بلا شك مما أضعف المسلمين فضلاً عن إعاقة لعمليات الجهاد ضدهم ، وإعطائهم الفرصة لمحاربتهم والثأر منهم .

وكان النصارى حريصين على الإفادة من تلك الفرصة المتاحة لهم قبل فوات أوانها ، ولهذا توجه سانشو بنفسه على رأس جيش كبير نحو البربر وزعيمهم المستعين حيث اتفقوا قرب مدينة سالم ، ويبدو أنهم كانوا متخوفين من

المهدي وجيشه ؛ ولهذا حاولوا اختراقه حيث كاتبوا واضح الصقلي - حاكم مدينة سالم من قبل المهدي - ودعوه إلى المصالحة والكف عن قتالهم لكنه رفض عرضهم، كما أخذ يستعد لمقاتلتهم^(٢٣٠)، وقد وقعت بين الطرفين معركة بالقرب من شربنه وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٩هـ، حيث تمكن البربر والنصارى من الانتصار على جيش واضح الذي لاذ بالفرار إلى قرطبة فتبعوه، ثم وقعت بينهما معركة أخرى قرب قرطبة في مكان يسمى «قنتيش»؛ وذلك في ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ، وقد تمكن البربر والنصارى من الانتصار على المهدي وجيشه، حيث قتلوا منهم أعداداً كثيرة، أما المهدي وحليفه واضح، فقد هربا إلى طليطلة، وبعد أن دخل البربر قرطبة بايعوا المستعين خليفة في قرطبة وذلك في ١٧ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ^(٢٣١).

وقد تمخض عن هذه المعارك عدد من النتائج الضارة بالمسلمين، ومن أهمها :

١- أن تلك الحروب التي وقعت بين المسلمين نتيجة لمنافسات عرقية وذاتية قد زادت من هوة الخلاف بينهم ولاسيما أن القتلى من الطرفين كانوا كثيرين، وبهذا تأكد انقسام المجتمع الإسلامي في الأندلس إلى فريقين متحاربين، وقد كان لهذا الأمر نتائج السيئة كما سنرى.

٢- إن إدخال النصارى في تلك القضية كان فرصة ذهبية لهم، حيث زادوا من هوة الخلاف بين المسلمين، كما أعملوا السيوف في رقابهم، وقد ذكر ابن عذارى أن النصارى قتلوا في معركة قنتيش ثلاثين ألفاً من المسلمين، حيث كان ذلك اللقاء أول ثارات للمشركين على المسلمين^(٢٣٢).

٣- إن مقاتلة القوى النصرانية جنباً إلى جنب مع البربر والمستعين بالله، وضد المهدي وأهل قرطبة، كسرت الحاجز النفسي الذي كان موجوداً بين مسلمي الأندلس والنصارى، وهذا بلاشك كانت له آثاره السيئة على مسلمي تلك

الديار ، حيث صار الركون إليهم والاستعانة بهم أمراً مألوفاً عند المسلمين هناك ، فقد ذكر المؤرخون أن الخليفة المهدي المهزوم استنجد بنصارى برشلونة كما طلب من حاكمها رامون المساعدة في استعادة ملكه الضائع ، وكان رسوله إليه واضح الصقليبي ، وقد أملى النصارى شروطهم على واضح فقبلها ، ومن أهم تلك شروط :

١ - أن يسلمه المسلمون مدينة سالم ، قاعدة الثغر الأوسط ، حيث أخلاها واضح ممن كان فيها من المسلمين ، وسلمها للنصارى الذين حولوا مسجدها إلى كنيسة^(٢٣٣) .

٢ - أن يلتزم واضح بدفع دينارين لكل رجل منهم في كل يوم ، ومائة دينار لزعيمهم ، كما اشترطوا عليه أن يوفر ما يلزمهم من المؤن والطعام والشراب^(٢٣٤) .

٣ - كما اشترط عليهم أن للنصارى كل ما حازوه من عسكر البربر من سلاح وكراع ، وأن نساء البربر ودماءهم وأموالهم حلال لهم ، لا يحول أحد بينهم^(٢٣٥) .

وعلى الرغم من شطط النصارى في شروطهم فقد قبلها المهدي طمعاً في الوصول إلى الحكم مرة أخرى ضارباً بمصلحة البلاد والعباد عرض الحائط ، ودون أن يحسب للعواقب السيئة المترتبة على ذلك العمل المشين .

أما الجيش النصراني فقد توجه بقيادة ملك برشلونة وصحبة واضح الصقليبي نحو طليطلة حيث قابلوا فلول جيش المهدي ، ثم توجهوا جميعاً نحو قرطبة ، وبالقرب منها التقوا بجيش سليمان المستعين وذلك في شوال سنة ٤٠٠ هـ ، وفي بداية المعركة انهزم جيش المهدي حيث قتل القائد النصراني وعدد كبير من جنده ، وفي نهاية المعركة حصل ارتباك في قوات المستعين ، الأمر الذي مكّن خصومه من

الانتصار عليه حيث عين المهدي خليفة للمرة الثانية ، فأعطى النصارى ما اشترطوه كما أخذ بمطاردة فلول البربر لكنه انهزم أمامهم ، حيث انقض عليه حلفاؤه الصقالبة، فقتلوه في ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ^(٢٣٦) .

هكذا استشرت نكرة العصية القبلية بين مسلمي الأندلس ، ومما لاشك فيه أن هذه النكرة خلفت آثاراً نفسية وسياسية ، وعسكرية ، واجتماعية خطيرة ، أثرت في واقع المسلمين هناك ، كما أغرقتهم في أحوال الحرب الأهلية مما أضعفهم ومكن العدو النصراني منهم ، ولم يكن النهوض من هذه الكبوة سهلاً عليهم بعد ذلك ، فقد سفكت الدماء وانتشرت الثارات ، وفسدت القلوب بين فئات المجتمع الإسلامي هناك ، حيث كان أهل قرطبة على الرغم من شدتهم وعظيم محنتهم ملحين على منابذة البربر ، وعدم الصلح معهم حتى أن من ذكر الصلح أو دعا إليه قتل^(٢٣٧) .

ونتيجة لهذا الشعور ، عد مسلمو قرطبة النصارى أكبر منقذ لهم ، حيث يذكر ابن عذارى أنه حينما رحل النصارى إلى بلادهم بعد هزيمة المهدي سنة ٤٠٠ هـ حزن القرطبيون على رحيلهم « حتى كان بعضهم يلقي بعضاً فيعزيه كما يعزي من فقد أهله وماله أسفاً على رحيلهم ، وجزعاً من وصول البربر إليهم »^(٢٣٨) .

وفي سنة ٤٠١ هـ ازداد تعدي البربر على أهل قرطبة كما هاجموا مالقة ، والبيرة ، والجزيرة الخضراء ، مع تشديدهم الحصار على قرطبة ، وفي الوقت نفسه حاول سليمان المستعين التحالف مع الملك القشتالي ضد هشام المؤيد الذي بويع خلفاً للمهدي على أن يسلمه بعض الحصون والثغور الإسلامية في شمالي الأندلس ، لكن واضح الصقلي ما إن علم بهذه المحاولة من قبل البربر حتى قدم للملك القشتالي عرضاً أكبر من سابقه وذلك باسم الخليفة هشام المؤيد حيث عقد معه اتفاقية يتم بمقتضاها تسليم جميع الحصون التي كان قد استولى عليها كل

من الحكم المستنصر والمنصور ابن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر^(٢٣٩) ، وتقدر هذه الحصون بحوالي مائتي حصن مما أفقد المسلمين خط دفاعهم القوي ضد القوى النصرانية^(٢٤٠) .

وبالرغم من التنازلات الكبيرة التي قدمها هشام المؤيد مع مساعدة واضح للعدو النصراني فإن هذا الأمر أصبح مطلباً عاماً استساغه جميع الناس من خاصة وعامة، حيث إنه لما وصل رسل الملك النصراني إلى قرطبة « حضر الفقهاء والقاضي، والعدول وكتبوا كتاباً بالشروط وتسليم الحصون للنصارى، وقرئ على الناس بحضرة هشام وواضح وشهد فيه جميع من حضر وخرج القوم من القصر مستبشرين بما كان .. »^(٢٤١) .

ومما لاشك فيه أن الملك القشتالي أراد من وراء صلحه مع هشام المؤيد أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض كما فعل قبل ذلك ، إضافة إلى رغبته في إطالة أمد الصراع بين المسلمين أنفسهم، وهذا مما يضعف المقاومة الإسلامية ويشعل نار الحرب الأهلية فيما بينهم حتى يأكل المسلمون بعضهم بعضاً^(٢٤٢) ، وقد تم ذلك بالفعل حيث خربت تلك الحرب الأهلية مدناً كثيرة ، كما قتل أكثر أهلها حتى إن الراكب يمشي شهوراً لا يرى أحداً في طريق ولا قرية^(٢٤٣) .

وقد استمرت تلك الفتنة التي أشعل نارها كل من واضح الصقلي باسم الخليفة هشام المؤيد، والخليفة سليمان المستعين حتى قتل هشام المؤيد سنة ٤٠٣ هـ حين تغلب على الأمر سليمان المستعين ، وقد استمر حكم سليمان للمرة الثانية حتى سنة ٤٠٧ هـ^(٢٤٤) .

هكذا تمخّض ذلك الصراع القبلي بين المسلمين أنفسهم إلى انقسام مسلمي الأندلس إلى طائفتين متحاربتين ، فالحزب البربري رأى أن يصرف الأمر عن الأمويين بعد مقتل سليمان المستعين سنة ٤٠٧ هـ ، وأن يختاروا الخليفة من بني

حمود ذوي النسب الشريف .

أما الحزب الآخر الذي يتكون من بقايا الأمويين والعامريين ، ومماليكهم من الصقالبة والعبيد ، وجمهرة العامة ، وبخاصة في المدن الكبرى مثل قرطبة، وإشبيلية، والمرية ، فقد أصروا على بقاء الأمر للأمويين^(٢٤٥) ويطلق على هذا الحزب لقب الجماعة^(٢٤٦) .

وقد نتج عن هذا الانقسام ضعف الحكم الأموي ثم سقوطه في سنة ٤٢٢ هـ ، ليقوم على أنقاضه عدد من الكيانات السياسية التي اتكأت كثيراً على النزعة القبلية معلنة بذلك قيام عصر ملوك الطوائف ، ويذكر ابن عذارى أن تلك الدول التي تتكون منها دول الطوائف تشكل اتجاهين قبلين رئيسين حيث يقول : « وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة تميز أمراء الأندلس وملوكهم من قبائل البربر وغيرهم وصاروا فريقين ما منهم من يحذر الدار الآخرة »^(٢٤٧) .

أما ذانك الحزبان فهما :

١ - الحزب الأندلسي ، وقد ذكر ابن حيان أنه يتكون من ابن جهور في قرطبة، وابن عباد في إشبيلية ، وابن هود في سرقسطة ، وعبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية، وابن صمادح في المرية ، وسعيد بن رفيف في شقورة، وابن قره في رندة، والبرزالي في قرمونة ، وغيرهم^(٢٤٨) .

٢ - الحزب البربري ، ويتألف من إدريس بن يحيى صاحب مالقة ، وباديس بن حبوس الصنهاجي، صاحب غرناطة، وكان البربر يدعون لإدريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني^(٢٤٩) .

وعلى الرغم من قلة نفوذ البربر فإنهم أصبحوا يشكلون خطراً على كيانات الحزب الأول، إذ كانوا « نمطاً واحداً، متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس ابن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر، ومن يدعو إليه ...

وكانوا متعاضدين متناصرين على من يباينهم من الأمراء....»^(٢٥٠) ، وقد أثرت هذه النزعة القبلية على علاقات ملوك الطوائف فيما بينهم حيث كان لها أثر واضح على واقع المسلمين السياسي والعسكري. فبالإضافة إلى المنازعات والخلافات التي وقعت بينهم بسبب المصالح والمطامح المادية ، والسياسية ، كانت هناك أيضا خلافات أوجدتها النزاعات القبلية والعرقية تجاوز ملوك الطوائف في التعامل معها الأعراف الدولية آنذاك ، حيث أضحت القسوة واللجوء إلى الأساليب البشعة من السمات السائدة في التعامل بينهم أثناء النزاعات والحروب الواقعة فيما بينهم .

وكان من أشد الدول قسوة على البربر ، الدولة العبادية ، حيث وصف المعتضد بن عباد بأنه هو الذي قطع دابر أمراء البرابرة^(٢٥١) ، إذ كان في تعامله مع زعمائهم لا يردعه أي وازع من دين ، أو ضمير ، في سلوك أبشع الأساليب ، فقد ذكر ابن عذارى أنه صدم شرهم بشرهم ، وضرب زيدهم بعمرهم ، ثم إنه دعا زعماء بني يقرن الزناتيين حكام إقليم تاكرنا لزيارته في إشبيلية حيث « أذن لهم في اليوم الثالث من وصولهم في الدخول عليه ، فدخلوا عليه وأخذوا مجالسهم عنده فأفضى به الحديث إلى عتابهم في قلة جدتهم معه في حرب أعدائه فخطبهم في ذلك بكلام خشن ، فبجھلهم أرادوا المناصفة لأنفسهم ، فردّ عليه محمد بن نوح الدمري ، صاحب مورور - أحد زعمائهم - فوكزه المعتضد بن عباد بيده ، وصاح بعبيده ... فأقاموهم أسوأ قيام من الشتم والهوان ينتفون لحاهم ؛ لانخداعهم حتى حصلوا في يد عدوهم فأمر عباد في الحين بتكبيْلهم ، وتنكيلهم وسجنهم في مواضع شتى لا يلتقي أحد منهم بغيره ... وأمر بأخذ جميع خيلهم وسلاحهم وأخبتهم وجميع ما احتوا عليه ، وقد كان أكثرهم تداينوا واستعاروا للآبهة والفخامة على ابن عباد .. ثم أمر بهم فأخرجوا من محابسهم ... وأمر بتطبيب الحمام لهم فلما دخلوا الحمام وجلسوا بإزاء الحوض خرج العبيد عنهم ، وقد أعدوا الجيار والآجر فبني عليهم على دفعة بيت الحمام ، وأمر السخان أن يكثروا

الوقد فالتهف الحمام فقاموا من موضعهم يرومون الخروج فلم يجدوا مخرجاً فكان آخر العهد بهم...» (٢٥٢).

بهذا المستوى من الدناءة والخسة كانت معاملة المعتضد بن عباد لخصومه البربر، فالرسل لا تقتل بل تكرم وفادتها، فأين من يقيم لمثل هذا الخلق اعتباراً، بل أين من يعي الأعراف، والتقاليد فضلاً عن الآداب والأخلاق الإسلامية، إن مستنقع العصبية القبلية التي غرق في أحواله ذلك الرجل وأمثاله من ملوك الطوائف، قد أنساهم كل هذه الاعتبارات، حيث يذكر المؤرخون أن المعتمد كانت لديه خزانة في جوف قصره أودعها رؤوس الملوك الذين أبادهم من البربر وغيرهم، وقد سمي ذلك المكان حديقة الموت، حيث جعلها رمزا لقوته وبطشه (٢٥٣).

وعلى الرغم من قلة عدد البربر في بلاد الأندلس مقارنة بغيرهم من الأجناس، وماتعرضوا له من حروب قاسية إبان عصر ملوك الطوائف، فقد كانوا قوة ضاربة يستعين بهم ملوك الطوائف في أوقات الشدة وساعات الخطر، يقول ابن عذارى: «... وكان في كل بلد جملة منهم اقتسموا قواعد الأرض مضربين بين ملوكها فلا يقاتل الأعداء إلا بهم، ولا تسكن الأرض إلا بجوارهم...» (٢٥٤).

ومما يمكن أن يذكر في هذا الميدان، هو أن قتال البربر عده كثير من مسلمي الأندلس أنه الجهاد الأكبر (٢٥٥)، وهذا بلا شك من الظواهر المنذرة بالخطر، إذ كيف انحدر الناس بفكرهم إلى هذا المستوى على الرغم من كونهم جميعاً من المسلمين يدينون بدين واحد، ودخلوا الأندلس من أجل نشر الإسلام وإعلاء راية لا إله إلا الله.

ولم يكن هذا السم الزعاف والخلق الجاهلي خاصاً بعلاقات جنس مع آخر، بل إنه كان مستشرياً حتى بين أفراد الجنس الواحد، فالعصبية القبلية استشرت

بين البربر أنفسهم ولاسيما بين صنهاجة وزنانة. وفي هذا يقول أبي عذارى :
«...وركبت صنهاجة ولفها من زنانة أكتاف القوم باذلين السيف فيهم بصدق
العصبية ، وإيثار الأبناء، فلم يبقوا على أحد قدروا عليه ، فأساؤوا الاعتداء وأبادوا
أمة ..» (٢٥٦).

هكذا استشرى مرض العصبية القبلية في المجتمع الإسلامي ، خلال عصر
الطوائف وقد تبين لنا كيف أدت تلك الظاهرة الجاهلية إلى إضعاف المجتمع
الإسلامي، وتمزيقه إلى أشلاء ضعيفة لم تستطع الوقوف في وجه الخطر النصراني،
فتهاوى بذلك ذلك الصرح الشامخ حين ضعف الجهاد وتحولت عملياته إلى
حروب ثأرية، ونزاعات أهلية ، لاهداف لها سوى إرضاء الذات والتأثر للقبيلة
مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك .

كما تبين لنا - أيضاً - أن وباء العصبية القبلية ، وإن كان قد ظهر في بلاد
الأندلس منذ وقت مبكر من عصر ملوك الطوائف إلا أن هذا المرض العضال،
بقيت نتائجه وأثاره السلبية تنخر في كيان المسلمين هناك ، بل إن ظهوره مبكراً
وبشكل قوي، كان سبباً رئيساً في تأصيل كثير من المفاهيم الخاطئة عند المسلمين
عامة ، وملوك الطوائف خاصة ، وهذا بلاشك مما جعل الاتجاه القبلي والعصبي
وغيره من المصالح الذاتية ، مقدم على سواه من مصالح المسلمين العامة آنذاك ، بل
إن الاتجاه القبلي ربما كان هو الموجه الأول لسياسات تلك الدول الداخلية
والخارجية.

وخلاصة القول أن هذا الوباء الذي حل بساحة المسلمين بالأندلس في
عصر ملوك الطوائف كان من أكبر الأوجاع التي عملت على إضعافهم معنويًا
وماديًا ، ومن ثمَّ عجزوا عن إدارة شؤونهم فضلاً عن مقاومة أعدائهم ، والتصدي
لهم .

وبعد هذا العرض لعوامل الضعف المعنوي عند مسلمي الأندلس في عصر الطوائف؛ يتبين لنا أن ذلك الضعف الذي أصاب مسلمي الأندلس حينذاك لم ينشأ من فراغ، بل جاء نتيجة طبيعية لتلك العوامل المباشرة، حيث أصبح الضعف المعنوي ظاهرة ملموسة، بل سمة واضحة أدركها الجميع، كما عانى من آثارها جميع أفراد المجتمع الإسلامي هناك، حيث تحولت عزتهم إلى ضعف وهوان وشجاعتهم إلى جبن وخور، وانتصاراتهم إلى هزائم ونكسات، ووحدتهم إلى فرقة وشتات، وتأخيهم إلى أحقاد وضغائن، وهذا بلا شك مما غير مكانتهم السياسية والحربية ليس عند النصارى فحسب بل حتى عند المسلمين.

الهوامش

- (١) سورة الأنفال آية : ٦٠
- (٢) سورة المنافقون آية : ٧
- (٣) محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ج ٤ ص ٦٤٠ .
- (٤) المرجع السابق ج ٤ ص ٦٤٠ .
- (٥) وجد في عصر الولاة بعض مظاهر الضعف التي مني بها المجتمع الإسلامي هناك ومن أهمها مرض العصبية القبلية الذي بدأ ظهوره في ذلك العصر لكنه كان يضعف أمام عوامل القوة التي كان يتمتع بها المسلمون آنذاك ، وحينما ضعف المسلمون في عصر الطوائف عاد هذا المرض إلى الظهور وبشكل قوي .
(انظر في تفصيلات ذلك : « العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس » بحث قدمه الدكتور عبدالحليم عويس إلى ندوة الأندلس الدرس والتاريخ الذي نظمتها جامعة الإسكندرية عام ١٤١٤ هـ) .

(٦) أخبار مجموعة ص ٢٥ .

Suarez Fernandez: Luis. (٧)

Manual de Historia umirenal Tomo III Edod Media, 2o Edician, Madrid
1972 P159 .

Angeles Masia: p 190 .

Introduccion a la historia de Espania . Barcelona 1943 p 101

Altamira : historia de Espania 3o Edician Tomo I PP. 238-239

Barcelona 1913.

(٨) وبالإضافة إلى هذه الدول الرئيسة فقد كان هناك العديد من المدن والأقاليم ،

التي أعلنت استقلالها وهي :

١ - دولة بني يحيى في لبلة : ٤١٤ - ٤٨٧ هـ (١٠٣٠ - ١٠٩٤ م)

٢ - دولة بني البكري في جزيرة شلطيّش : ٤٠٣ - ٤٤٣ هـ (١٠٢٦ - ١٠٥١ م)

٣ - دولة هارون في شنت مرية الغرب : ٤١٧ - ٤٤٣ هـ (١٠٢٦ - ١٠٥١ م)

٤ - دولة بني مزين في باجه وشلب :

٥ - دولة بني برزال في قرمونة : ٤٠٤ - ٤٥٩ هـ (١٠١٣ - ١٠٦٧ م)

وقد سمي ابن عذارى عبدالله البرزالي زعيم هذه الدولة بقطب رحي الفتنة (البيان

المغرب جـ ٣ ص ٢٠٢) .

٦ - دولة بني خزرون في أركش : ٤٠٢ - ٤٦١ هـ (١٠١١ - ١٠٦٨ م)

٧ - دولة بني دمر في مورور : ٤٠٣ - ٤٥٨ هـ (١٠١٣ - ١٠٦٦ م)

٨ - دولة بني يفرن في رندة : ٤٠٦ - ٤٥٧ هـ (١٠١٥ - ١٠٦٥ م)

٩ - دولة العامريين في المرية : ٤٠٥ - ٤٨٤ هـ (١٠١٤ - ١٠٩١ م)

١٠ - مملكة مرسية : ٤٠٣ - ٤٧١ هـ (١٠١٢ - ١٠٧٨ م)

١١ - مملكة دانية والجزائر : ٤٠٠ - ٤٦٨ هـ (١٠٠٩ - ١٠٧٦ م)

١٢ - إمارة شنت مرية الشرق : ٤٠٣ - ٤٩٧ هـ (١٠١٢ - ١١٠٤ م)

(انظر: محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ط ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦٤ ، أحمد مختار

العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٨٩ - ٩٦ ، عبد الحليم عويس: ابن

حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص ٢٤ ، لين بول : الدول

الإسلامية القسم الأول ص ٦٢ - ٧٤) .

(٩) سورة الرعد ، آية ١٠ .

(١٠) الحجي : التاريخ الأندلسي ص ١٣١ .

(١١) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

(١٢) جامع الأصول ج ٨ ص ٢٧ - ٢٨ .

(١٣) هو النعمان بن عبدالله بن النعمان الحضرمي من آل الراسين، كان رجلاً صالحاً زاهداً كثير الصدقة، حيث كان يتصدق بعطائه كله، كان في أول أمره يسكن برقة، ثم دخل الأندلس، مع طلائع الجيش الإسلامي الفاتح .
(الحميدي : جذوة المقتبس ص ٣٥٨ ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١٥٩) .

(١٤) جذوة المقتبس ص ٣٥٨ .

(١٥) هذا الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه عند مسلمي الأندلس في عصر الولاية والدولة الأموية كان لا يخلو من بعض أوجه القصور مثل ظهور العصبية القبلية، وعدم توخي العدالة أحياناً في التعامل مع الناس، ولكنها لم تكن ظاهرة واضحة .

(١٦) الحجبي: التاريخ الأندلسي ص ٢١١ .

(١٧) المقرئ : نفح الطيب ج ٣ ص ٣٧ (نقلاً عن ابن حيان) .

(١٨) ابن حزم : نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص ٧٣، النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٣٥٨ .

(١٩) النويري : نهاية الأرب ج ٢٢ ص ٣٥٨ .

(٢٠) كتامة قبيلة بربرية، تقطن شمال بلاد المغرب، وهي إحدى قبائل البرانس وهم أصحاب عمارة، وضرع، ابن رسته : الأعلام النفيسة ص ٣٥٢، (ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٨٩، و عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج ١ ص ٢٩٢) .

(٢١) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجبي ص ١١١ - ١١٢، وللإطلاع على الرسالة كاملة انظر المصدر السابق ص ١١١ - ١١٥ .

(٢٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ جـ ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ ، (نقلا عن ابن حبان) المقرئ : نفع الطيب جـ ٤ ص ٤٥٢ .

(٢٣) ابن حزم : رسائل ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس جـ ٣ ص ٤١ .

(٢٤) المصدر السابق ص ١٧٦ .

(٢٥) ابن عذاري : البيان المغرب جـ ٣ ص ٩٠ .

(٢٦) تاريخ الأندلس ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢٧) البيان المغرب جـ ٣ ص ٢١٢ .

(٢٨) هو أبو الحسين يوسف بن محمد بن الجدة ، وقد دعاه ابن سعيد بأبي الحسن بن الجدة ، وبنو الجدة ينتسبون إلى بني فهر سكنوا بلبة ، وقد أثنى ابن بسام على هذا الشاعر ، وقد استكتبه ابن عمار حينما استقل بمرسية .

(ابن بسام : الذخيرة ق ٢ جـ ٢ ص ٥٥٦ ، ابن سعيد : المغرب جـ ١ ص ٣٤٠) .

(٢٩) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ جـ ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣٠) المقرئ : نفع الطيب جـ ٤ ص ٤٨٤ - ٤٨٦ ، وهذه القصيدة تبلغ اثنين وسبعين بيتاً ، وقد قام الدكتور الطاهر أحمد مكي بتحليلها والتعرف على هوية قائلها .
انظر كتابه : «دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة» جـ ١ ص ٢٢٩ .

(٣١) البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٣٠ .

(٣٢) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ص ٣٠١ .

(٣٣) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف المرابطين ص ١٧ .

(٣٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن الكردبوس : تاريخ

الأندلس ص ٧٧ .

(٣٥) انظر في تفصيلات هذه الحوادث المعجب للمراكشي ص ١٤١ - ١٤٥ . ولقد غدا ظلم ملوك الطوائف وقسوتهم في فرض الضرائب ونهب أموال الناس مادة أدبية حتى في كتابات النصارى . انظر على سبيل المثال : ماورد عن ابن عباد ووزيره ابن عمّار في :
Sanchez Alborno: Ibn Ammar de Seuila Buenas Aires 1955.

(٣٦) المعجب ص ١٤١ .

(٣٧) هو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني ولد سنة ٣٩٢هـ ، وقد اهتم بطلب العلم منذ صغره ، ولهذا عد من علماء الأندلس ومحدثيها ، عاش في أول أمره بمدينة إشبيلية بجوار صديقه المعتضد بن عباد ، فلما آلت السلطة إلى المعتضد ، تنكر له ، وأعرض عنه ، فاستأذنه الهوزني بالتوجه إلى المشرق سنة ٤٤٠هـ ، فأذن له ، وفي بلاد المشرق تنقل الهوزني بين مصر ، ومكة لطلب العلم ، ثم رجع إلى الأندلس حيث سكن مرسية ، وقد اهتم الهوزني بواقع المسلمين في الأندلس ، وهذا مادفعه إلى محاولة الإصلاح ، وكانت آخر محاولاته تلك الرسالة التي بعث بها إلى المعتضد ، والتي دعاه فيها إلى الجهاد في سبيل الله ومقاومة النصارى ، وبالرغم من تقبل المعتضد الظاهري لها إلا أنه دعاه إلى الرجوع إلى إشبيلية ، فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ... أمر خادمين من فتيانه بقتله فكلاهما أشفق من سوء فعله ، فقام إليه هو بنفسه ، وبأشر قتله بيده ، كما يقول ابن بسام .

(ابن بسام الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٨٣ ، ابن بشكوال: الصلة ج ٢ ص ٤٠٢ ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٥٣٤ ، المقري : نفع الطيب ج ٢ ص ٩٣) ، وانظر الرسالة كاملة في ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٨٣ - ٨٦ .

(٣٨) الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٢٤

(٣٩) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ص ٣٨٩ .

(٤٠) المراكشي : المعجب ص ٩١ .

- (٤١) الذهبي : العبر في خبر من غير جـ ٣ ص ١٨٣ .
- (٤٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ جـ ٢ ص ٦٠٣ (نقلا عن ابن حيان) .
- (٤٣) انظر في تفصيلات هذه الأحداث : ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : القسم الثاني ص ١٤٩ .
- (٤٤) لاردة : تقع في ثغر الأندلس الشرقي ، وهي مدينة قديمة بنيت على نهر يخرج من أرض جليقة يعرف بنهر شيقر ، وهي خصبة التربة ، وتشتهر بكتانها الجيد .
(الحميري : الروض المعطار ص ٥٠٧) .
- (٤٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٣٥١ .
- (٤٦) تطيلة : مدينة أندلسية تقع شرق مدينة سرقسطة وتتبعها عدة مدن وقرى من أهمها مدينة طرسونة . (البكري : جغرافية الأندلس ، تحقيق عبدالرحمن الحجي ص ٩٠-٩١ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ص ١٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٣٢-١٣٣) .
- (٤٧) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٢٣ ، محمد عبدالله عنان دول الطوائف ص ٢٧٣ .
- (٤٨) « الجزية » : هكذا وردت عند ابن عذاري ، والتزاماً بالأمانة العلمية أبقيتها كما جاءت ، علماً بأن لي تحفظاً على إطلاق هذا المصطلح على المسلمين ؛ لأنه بالأصح إنما يطلق على ما يدفعه أهل الكتاب للمسلمين مقابل حمايتهم وهذا هو مدلوله الشرعي .
- (٤٩) البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٢٩ ، وقد ذكر ابن عذارى أن ذلك الرجل قد دعا عليه فرماه الله بعله في جسده أذهبت حسه وعقله فمات حتى كان ينبع كنيح الكلاب نعوذ بالله من سوء العاقبة . (البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٢٩) .
- (٥٠) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ جـ ١ ص ٤٢٣ ، ابن الأبار : الحلة السيرة جـ ٢ ص ٢٤٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٢٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ص

- (٥١) البيان المغرب ج٣ ص ٢٢٢ .
- (٥٢) المصدر السابق ج٣ ص ١٢١ .
- (٥٣) المصدر السابق .
- (٥٤) المصدر السابق .
- (٥٥) نفح الطيب ج١ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ . وقد تولى الحكم مرة ثانية من ٤١٦ إلى ٤٢٧ هـ .
- (٥٦) البيان : المغرب ج٣ ص ١٣٢ .
- (٥٧) المصدر السابق ج٣ ص ١٤٤ .
- (٥٨) انظر في تفصيلات ذلك، ابن عذارى: البيان المغرب ج٣ ص ١٨٨ - ١٨٩ .
- (٥٩) المراكشي المعجب ص ٨٢ .
- (٦٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢١٨ (نقلا عن ابن حيان) .
- (٦١) المراكشي : المعجب ص ٩٩ .
- (٦٢) مما يدل على حب الذات تنافسهم على السلطة ، والسلطان ، حتى تقاتلوا من أجلها فمات الكثير من زعمائهم بسبب هذا التناحر . (انظر في تفصيلات ذلك : المراكشي : المعجب ص ٨٠ ، ٩٦ ، ٧٧ ، و ١٠٣) .
- (٦٣) نفح الطيب ج١ ص ٢١٤ ، ومما يذكر في هذا المجال ، مذكره المؤرخون ، في أن أبا زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني، أحد شعراء الأندلس المشهورين، حضر يوماً أمام حاجب إدريس بن يحيى الحمودي ، وأنشده قصيدته النونية المشهورة ، والتي منها :
- وكأن الشمس لما أشرقت فانشئت عنها عيون الناظرين
وجه إدريس بن يحيى بن علي بن حمود أمير المؤمنين

فلما بلغ منها قوله :

انظرونا نفتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين
رفع إدريس الستر بنفسه وقال : انظر كيف شئت . (ابن بسام : الذخيرة ج ١ ص ٤
٧٩٣ ، المراكشي : المعجب ص ٩٩ ، والمقري : نفح الطيب ج ١ ص ٢١٤) .

(٦٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٦٥) المصدر السابق .

(٦٦) المصدر السابق ص ٣٠٣ (نقلا عن ابن حبان) .

(٦٧) المصدر السابق ص ٣٠٩ (نقلا عن ابن حبان) .

(٦٨) المصدر السابق ص ٣١٠ .

(٦٩) المصدر السابق ص ٣١٠ - ٣١١ ، وقد استدل ابن عذارى على ضعف عقله أنه أهدي
إليه أحد ملوك النصارى قرداً فكان يفخر بذلك القرد على أفرانه من ملوك الطوائف .
البيان المغرب ج ٣ ص ٣١١) .

(٧٠) المصدر السابق ص ٣١٣ .

(٧١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٧٢) المصدر السابق ص ٢٧٩ .

(٧٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١٨٥ ، عبدالرحمن الحجي : التاريخ
الأندلسي ص ٣٣٣ .

(٧٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٧٥) المقدمة ج ٢ ص ٤٤٦ .

(٧٦) مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، (تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر

زمامة) ص ٣٦ .

(٧٧) المصدر السابق ص ٤١ .

(٧٨) الحميري : الروض المعطار ص ٩٠ - ٩١ .

(٧٩) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٣ ص ٩٠ .

(٨٠) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٩٥ .

(٨١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٣٦ .

(٨٢) ابن هذيل : تحفة الأنفس ص ٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٤٠ .

(٨٣) شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص ١٢٢ .

(٨٤) ابن بسام : الذخيرة ق ٦ ج ٢ ص ٦٠٢ .

(٨٥) محمد عبدالله عنان : الدولة العامرية ص ١٨٦ ، عبدالحليم عويس : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي ص ٢٣

(٨٦) رجب عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية ، وإسبانيا النصرانية ص ٢٧٢

(٨٧) المعجب ص ١٠٥ .

(٨٨) ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١١٠ - ١١١ ، (نقلا عن ابن حيان) .

(٨٩) انظر في تفصيلات ذلك محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ص ٤٦ - ٤٦٤ ، وأحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٨٩ - ٩٦ ، ولين بول : الدول الإسلامية القسم الأول ص ٦٢ - ٧٤ .

(٩٠) أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤٤ .

(٩١) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٠١ .

(٩٢) نقط العروس ص ٨٣ - ٨٤ .

(٩٣) رجب عبدالحليم :العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٢٧٤ .

(٩٤) ابن عذارى :البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٩ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٢٤

(٩٥) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق ٣ ج ١ ص ٢٥ عبدالله بن بلقين : التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبدالله ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ١٩٤ .

(٩٦) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٧٨ .

(٩٧) وقد سماهم ابن الخطيب بمقتسمي الملك من بعد الجماعة (أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٢٦ ، ١٨٣) كما أن ابن حيان سمى إسماعيل الظافر بن ذي النون برئيس الخلاف ورأس الانحراف ، وجمهور الجور والانحراف ، ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ٢٤٢ (نقلا عن ابن حيان) .

(٩٨) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٩٩) ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١٤٣ و ١٤٤ ، هذا القول منسوب إلى إسماعيل بن ذي النون ، وقد ذكر ابن الخطيب أنه لو خرج عليهم عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لما تنازل له ؟ ! (أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١٤٤) .

(١٠٠) ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٧٥١ ، وقد ذكر ابن عذارى أن بعض ملوك الطوائف ذهبوا في انتحال الألقاب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فقد تسمى عبدالمملك بن جهور بذي السيادتين : المنصور بالله ، الظافر بفضل الله ، كما تسمى أحمد بن جراح صاحب شلب بملك الملوك قاطع الشكوك (البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، و ٢١٥ - ٢١٦) ،

لكنه ذكر أن أفعالهم كانت ضد أقوالهم العبر: ج ٤ ص ٤٠ . كما ذكر ابن حيان أن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون تلقب بالقادر بالله وذلك جهلاً منه بحقيقته وتهاونا بالله وخليقته (ابن بسام: الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١٤٢) .

(١٠١) المراكشي: المعجب ص ١٠٥ ، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤٤ .

(١٠٢) نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص ٨٣ - ٨٤ .

(١٠٣) عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ص ٣٣٣ .

(١٠٤) Menendez Pidal: Hiztoria de Espania : Tomo IV Madrid 1957 p 191. .

(١٠٥) الحجي : التاريخ الأندلسي ص ٣٣٢ .

(١٠٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤٤ .

(١٠٧) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ٣ ص ٨٢١ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٣ ص ٤١٥ .

(١٠٨) ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١٤٣ .

(١٠٩) رسائل ابن حزم : تحقيق إحسان عباس ج ٣ ص ١٧٣

(١١٠) ابن عبد البر : القصد والأمم ص ٣٥ .

(١١١) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٤٥٥ .

(١١٢) تاريخ الأندلس ص ٨١ - ٨٢ .

(١١٣) هو أبوشجاع أرقم بن لبون تولى قيادة وبذة، ينتمي إلى أسرة بني لبون من المولدين، توفي شهيداً سنة ٤٨١هـ. (ابن الأبار : الحلة السيرة ج ٢ ص ١٩٩ ، ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٩٨) .

(١١٤) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٨٢ ، أما وبذة فهي مدينة تقع بالقرب من أقليمش ،

ويمر بالقرب منها وادي وبذة ، وتعد من الثغور المهمة . (الحميري : الروض المعطار ص ٦٠٧) .

(١١٥) ابن بسام : الذخيرة ج١ ق ٢ ص ٦١٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(١١٦) البيان المغرب ج٣ ص ٢٦٠

(١١٧) ابن بسام : الذخيرة ج١ ق ٢ ص ٦١٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٦١ ، محمد عبدالله عنان ، دول الطوائف ص ٢٨ .

(١١٨) القاضي ابن جحاف : هو أبو أحمد جعفر بن عبدالله بن جعفر بن جحاف ، من علماء مدينة بلنسية ، ومفكري الأندلس المشهورين ، طلب العلم في أول الأمر على أبي عمر ابن عبد البر بمدينة شاطبة ، وقد تولى القضاء بمدينة بلنسية ، فلما ساء واقع ابن ذي النون عزم أهل بلنسية على التخلص منه ، وتعين ابن جحاف مكانه وقد تم لهم ذلك ، لكن النصارى المتربصين غضبوا لخلع ابن ذي النون الموالي لهم ، فحاصروا بلنسية بقيادة القائد النصراني الكنييطور حتى تمكنوا من خلعته حيث أحرقوه بالنار .

انظر في تفصيلات ذلك ابن بسام : الذخيرة ق٣ ج١ ص ٩٧ ، وابن الأبار : التكملة ج١ ص ٣٩ ، وابن عميرة : بغية الملتبس ص ٢٥٧ ، وابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٣٠٥ ، وابن الخطيب أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤ ، وابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ١٠٠ .

(١١٩) البيان المغرب ج٣ ص ٣٠٥ .

(١٢٠) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٨٩ .

(١٢١) رجب عبد الحليم : العلاقات ص ٢٧٥ .

(١٢٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ١٦٠ .

(١٢٣) هنري بيرس : الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف (ترجمة الطاهر أحمد مكي)
ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(١٢٤) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ص ١٧٢ .

(١٢٥) المرجع السابق ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(١٢٦) سورة الأنفال : آية ٣٩ .

(١٢٧) عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ص ١٧٣ .

(١٢٨) انظر تفصيلات ذلك في فقرة « ضعف السوازع الديني عند كثير من ملوك الطوائف » من
هذا البحث .

(١٢٩) نفح الطيب ج ٣ ص ١٩ .

(١٣٠) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩ ،
المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٧ .

(١٣١) انظر تفصيلات ذلك في آخر فقرة « ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه » من هذا
البحث .

(١٣٢) لوثرث : تاريخ غزوات العرب ص ٥٨ .

(١٣٣) هؤلاء الأربعة هم :

أ - السمع بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ) حيث استشهد جنوبي فرنسا (الحميدي : جذوة
المقتبس ص ٢٣٦ ، ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٩٥ ، ابن عذارى :
البيان المغرب ج ٢ ص ٢٦ ، المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٤) .

ب - غنسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ) استشهد جنوبي فرنسا في شعبان سنة ١٠٧هـ
(الحميدي : جذوة المقتبس ص ٣١٩ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٤٤ ،

- ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٧ ، المقرئ : نفح الطيب جـ ٣ ص ١٦ .
- جـ - عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي (١١٢-١١٤هـ) استشهد في معركة بلاط الشهداء في رمضان سنة ١١٤هـ (الحميدي : جذوة المقتبس ص ٢٧٤ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس جـ ١ ص ٢٥٦ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ ، ابن حبان : المقتبس جـ ٢ ص ١٤٠) .
- د - عقية بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢١هـ) استشهد خلف جبال البرت . (الحميدي . جذوة المقتبس ص ٣١٩ ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٩) .
- (١٣٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ص ٣٥٩ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص ٣٥٨
- (١٣٥) أخبار مجموعة ص ٢٥ .
- (١٣٦) أخبار مجموعة ص ٢٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٦ ، المقرئ : نفح الطيب جـ ٣ ص ١٥ .
- (١٣٧) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٩ .
- (١٣٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٦ .
- (١٣٩) عبدالرحمن الحججي : التاريخ الأندلسي ص ٢١١ .
- (١٤٠) الدولة الأموية في الأندلس ينتهي عصرها عند المؤرخين في سنة ٤٢٢هـ ، وذلك حينما عقد اجتماع عام في المسجد الجامع بقرطبة تم فيه ترشيح أبي الحزم جهور بن محمد ابن جهور وذلك في منتصف شهر ذي الحجة من سنة ٤٢٢هـ بعد خلع هشام المعتمد (ابن بسام : الذخيرة ق ١ جـ ٢ ص ٦٠٢) .
- ولكنني حددته في المتن بنهاية القرن الرابع ، وذلك لأن عمليات الجهاد والتي نحن بصدد الحديث عنها ، توقفت بعد ذلك التاريخ .
- (١٤١) إبراهيم الدوري : عبدالرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية ص ١٩٦
- ١٩٧ -

(١٤٢) انظر في تفصيلات ذلك: أخبار مجموعة ص ١١٤، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٢٦٩، محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ص ٢١٨.

(١٤٣) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٣٣٨.

(١٤٤) خليل السامرائي: الثغر الأعلى الأندلسي ص ٢٤٢.

(١٤٥) ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٣٩، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ١٢٧، المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(١٤٦) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(١٤٧) ابن عبدربه: العقد الفريد ج ٥ ص ٢٢٠، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ١١١.

(١٤٨) المقرئ: نفح الطيب ج ١ ص ٣٥٣.

(١٤٩) المصدر السابق ص ٣٦٣.

(١٥٠) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٣٨.

(١٥١) راجع عن جهاد المنصور: ابن بسام الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ٣٩، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ١٩٩، ابن الأبار: الحلة السيرة ج ١ ص ٢٦٨، ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٦.

(١٥٢) الذخيرة ق ١ ج ١ ص ١٨٥.

(١٥٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(١٥٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٥٢.

(١٥٥) ابن عذاري: البيان المغرب ج ١ ص ٣٧.

(١٥٦) المصدر السابق ص ٣٧.

(١٥٧) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ ، (نقلا من ابن حيان)، كما ذكر المقرئ
هذا النص ونسبه إلي ابن حيان : نفح الطيب ج ٤ ص ٤٥٢ .

(١٥٨) المصدر السابق ج ٣ ص ٩٠ .

(١٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ : ٢٥٢

(١٦٠) تاريخ الأندلس ص ٧٧ - ٧٨ .

(١٦١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٩٠ .

(١٦٢) الحجبي : التاريخ الأندلسي ص ٣٣٢ .

(١٦٣) ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلس ج ٣ ص ١٧٦ .

(١٦٤) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ١٠٠ ، الحجبي : التاريخ الأندلسي ص ٢٧١ .

(١٦٥) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص

٣٠٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(١٦٦) الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١٦٦ .

(١٦٧) تاريخ الأندلس ص ٨٨ .

(١٦٨) بربشتر : إحدى مدن النغر الأعلى الأندلسي تقع شمال سرقسطة أغار عليها النورمانيون

سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) فتخاذل عن نصرتها جارها المقتدر بن هود لكونها تقع ضمن

أملك أخيه يوسف . (انظر في تفصيلات أحداثها ابن بسام الذخيرة ق ١ ج ٣ ص

١٨٩ - ١٩٠ ، ص ٢٤٧) .

(١٦٩) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن الأبار : الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٤٧ ،

ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، القسم الثاني ص ١٧١ ، وعن موقف ملوك سرقسطة من

سقوط بلنسية في يد القمبيطور انظر :

(١٧٠) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٨٣ - ٨٦ .

(١٧١) أبو الوليد الباجي هو : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، من علماء الأندلس ، كما يعد من شعرائها وأدبائها ، ولهذا لقب بفقيه الأندلس وإمامها ، طلب العلم في أول أمره بالمشرق ، فلما عاد منه إلى الأندلس سنة ٤٤٠ هـ ، وجد أن عقد الوحدة السياسية بين المسلمين قد انتثر ، وأن الأمة قد ابتليت بالفرقة والشتات ، فبدأ دعوته إلى الوحدة الإسلامية أمام الخطر النصراني ، حيث أخذ يطوف على ملوك الطوائف من أجل هذا الغرض النبيل ، لكن ملوك الطوائف كانوا يستثقلون دعوته لشعورهم بأنها تقف سداً منيعاً أمام مصالحهم لكنه واصل دعوته حتى توفي بالمربة سنة ٤٧٤ هـ .
(ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ص ١١٧٨ - ١١٧٩ ، ابن خاقان : قلائد العقيان ص ٢١٥ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ج ١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٧٧) .

(١٧٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ ، المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٧٧ .

(١٧٣) على سبيل المثال انظر ما ذكره كل من : ابن هذيل : تحفة الأنفس ص ٧٠ المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٠ .

(١٧٤) سورة الحشر آية ١٤ .

(١٧٥) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٤١ .

(١٧٦) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٨٩ .

(١٧٧) ابن حزم : رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس ج ٣ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(١٧٨) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ١ ص ١٨٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٤ .

(١٧٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٥٥ .

(١٨٠) البيان المغرب ج٣ ص ٢٨٠ .

(١٨١) هو أبو محمد عبدالله بن فرح ابن العسال الطليطلي زاهد طليطلة المشهور ، كان فصيح اللسان متقناً في شعره ، كما كان يحفظ الأحاديث . توفي سنة ٤٨٧ هـ ، وقد نيف عمره على الثمانين . (ابن سعيد المغرب ج٢ ص ٢١ ، رايات المبرزين ص ٨١) .

(١٨٢) الحميري : الروض المعطار ص ٩٠

(١٨٣) ابن سعيد المغرب ج٢ ص ٢١ ، وقد ذكر المقرئ في كتابه نفع الطبيب أن تلك الأبيات رويت هكذا:

حثوا رواحكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلظ
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة متثوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عاقبه كيف الحياة مع الحيات في سفظ
(نفع الطبيب ج٤ ص ٣٥١) .

(١٨٤) التاريخ الأندلسي ص ٣٥١ .

(١٨٥) إحسان عباس : الأدب الأندلسي في عهد المرابطين وملوك الطوائف ص ١٨٣ .

(١٨٦) الحميري : الروض المعطار ص ٩١ .

(١٨٧) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٧٦ .

(١٨٨) سعد البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس ص ١٠٠

(١٨٩) ليث جاسم : ابن عبد البر وجهوده في التاريخ ص ٦٣ .

(١٩٠) رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس ج٣ ص ١٧٣ .

(١٩١) إحسان عباس : الأدب الأندلسي في عهد المرابطين وملوك الطوائف ص ١١ .

(١٩٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٢٤٨ .

(١٩٣) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

(١٩٤) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

(١٩٥) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

(١٩٦) سنفصل القول في هذه الفقرة عن نشأة وأطوار العصبية القبلية بالأندلس في العصور السابقة لعصر الطوائف ، لاسيما عصر الفتنة الذي أعقب عصر الدولة العامرية ، وذلك لأنه في هذا العصر استشرى هذا المرض ، وزادت أخطاره ، الأمر الذي جعل المسلمين في عصر الطوائف يعانون كثيراً من أخطاره حيث جنوا ثمار ذلك الداء .

(١٩٧) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

(١٩٨) هو طارق بن زياد بن عبدالله ، فارسي الأصل ، وقيل إنه بربري الأصل من قبيلة نفزة ، وقيل من صدف ، وسبب هذا التباين حول أصله هو أن المؤرخين الأوائل لم يتحدثوا بالتفصيل عن حياته المبكرة ، وقد اشتهر بأنه عسكري ناجح ، وقائد مظفر ، مخلص لدينه ، ساعٍ لنشره في العدوتين المغربية والأندلسية .
(المقري : نفح الطيب ج ١ ص ٢٥٤ ، الحججي : التاريخ الأندلسي ص ٤٧) .

(١٩٩) حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ١٠٢ .

(٢٠٠) نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢٠١) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٢٠٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ : ص ١١

(٢٠٣) انظر في تفصيلات ذلك كلا من : ابن حيان : المقتبس نشر شالتيا ص ٢٤١ ، وكذلك الجزء الذي نشره الحججي ص ١٩٠ - ١٩٢ ، ابن عذاري البيان المغرب ج ٢

ص ٢٢٢-٢٢٤ .

(٢٠٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ١٥٣ ، السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج ١ ص ١٢٥ .

(٢٠٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٥٥ - ١٥٦ ، - أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢١٠ - ٢١١) .

(٢٠٦) عبدالله بن بلقين : التبيان ص ١٦ .

(٢٠٧) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٣٩٨ .

(٢٠٨) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢٠٩) عبدالله بن بلقين : التبيان ج ١٧ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٣٩٨ .

(٢١٠) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٤١٧ .

(٢١١) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٤٢٧ ، محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ق ٢ ص ٦٤٣ .

(٢١٢) خليل السامرائي : علاقات المرابطين بالممالك النصرانية ص ١٦ .

(٢١٣) البيان المغرب ج ٢ ص ٧٥ .

(٢١٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٨١ .

(٢١٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣ .

(٢١٦) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٢٧ .

(٢١٧) الحلة السيرة ج ٢ ص ٥ ، و ٣٠ .

(٢١٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢١٩) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٢٢٠) المصدر السابق ص ٨٢ ، و ابن الخطيب : أعمال الأعلام ج٢ ص ١١٣ .

(٢٢١) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٨٢ ، و خالد الصوفي ، تاريخ العرب في إسبانيا ص ١٧ .

(٢٢٢) يذكر ابن عذارى أن التفاف البربر حول سليمان جاء بعد هزيمة هشام بن سليمان بن الناصر (الرشيد) الذي كان أول من تجمع حوله البربر بعد أن أظهر المهدي موقفه العدائي ضدهم ، لكن المهدي هزم الرشيد قرب قرطبة وذلك في أوائل شوال من سنة ٣٩٩ هـ . (ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٨٣) .

(٢٢٣) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٣٦ ، وابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١١٣ .

(٢٢٤) ابن بسام الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١١٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢٢٥) رجب، محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية ، وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ص ٢٦٤ .

(٢٢٦) ابن الأبار : الحلة السيرة ج ١ ص ٦ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ١١٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٨٦ .

(٢٢٧) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٨٦ .

(٢٢٨) المصدر السابق .

(٢٢٩) المصدر السابق .

(٢٣٠) المصدر السابق .

(٢٣١) انظر في تفصيلات ذلك كلاً من : المراكشي : المعجب ص ٨٩ ، ابن عذارى : البيان

المغرب جـ ٣ ص ٩٠ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١١٣ ، المقرئ :
نفع الطيب جـ ١ ص ٤٢٨ .

(٢٣٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٨٣ ، ويذكر عبدالواحد المراكشي أنه قتل من أهل
قرطبة نيف وعشرون ألف رجل ، (المعجب ص ٦٥) .

(٢٣٣) المصدر السابق ص ٩٤ .

(٢٣٤) المصدر السابق .

(٢٣٥) المصدر السابق .

(٢٣٦) انظر في تفصيلات ذلك كلاً من : ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٩٨ ، ابن الخطيب :
أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١١٥ ، محمد عبدالله عنان دولة الإسلام في الأندلس
ق ٢ ص ٦٤٩ .

(٢٣٧) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠٣ ، ويذكر ابن عذارى أن رجلاً من وجوه أهل
العلم، قال في الجامع : اللهم أصلح علينا فقتل في مكانه ، وقال آخر في الجامع إن
الله أحب الصلح وأمر به فقتل في الحين (البيان المغرب جـ ٣ : ١٠٣) .

كما ذكر أيضاً أن النصاري كانوا إذا سمعوا الأذان للصلاة يقولون قولاً لا يذكر فلا
يعترض عليهم أحد بشيء ، وجمع أهل قرطبة مالا كثيراً لهم ، ثم سألوا القاضي
ابن ذكوان أن يدفع إليهم مال الأحباس المودع في مقصورة الجامع فامتنع عليهم
فكسروا باب المقصورة ، وأخذوه ودفعوه إليهم . البيان المغرب جـ ٣ ص ٩٨ .

(٢٣٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٩٩ .

(٢٣٩) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠٣ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام القسم الثاني ص
١١٧ .

(٢٤٠) محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ق ٢ ص ٦٥١ ، عبدالمجيد نعنعي :

الدولة الأموية في الأندلس ص ٥١٣ .

(٢٤١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠٣ .

(٢٤٢) رجب محمد عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية ، وإسبانيا النصرانية ص ٢٦٧ .

(٢٤٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠٤ .

(٢٤٤) ابن بسام : الذخيرة ق ١ جـ ١ ص ٩٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثاني ص ١٢٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٣١٧ - ٣٢٠ .

(٢٤٥) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسة ، وقيّمته التوثيقية ، (ترجمة الطاهر أحمد مكي) ص ١٥ ، محمد بن عبود : جوانب من الواقع الأندلسي ص ٤٦ ، إبراهيم بيضون : الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

(٢٤٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٧١ .

(٢٤٧) المصدر السابق ص ١١٩ .

(٢٤٨) المصدر السابق ص ٢١٩ ، وانظر تفصيلات ذلك في : هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ١٧ ، ويدخل في هذا الإطار الدول الصقلبية التي قامت في شرقي الأندلس في مدن المرية ، ودانية ، طرطوشة بلنسية وغيرها .
(عبد الحميد نعنعي : الإسلام في طليطلة ص ١٠٦) .

(٢٤٩) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ١٧ .

(٢٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢١٩ .

(٢٥١) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٢٥٢) المصدر السابق ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢٥٣) ابن الأبار : الحلة السيرة ج٢ ص ٥٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٢ ، رجب
عبد الحلیم ، العلاقات ص ٢٧٦ .

(٢٥٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٠٣ .

(٢٥٥) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٢٥٦) المصدر السابق ص ١٧١ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا - المصادر

- ابن الأبار : أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ):
 - الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ط/ الأولى ١٩٦٣م.
 - التكملة لكتاب الصلة ، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني ١٣٧٥هـ .
- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) :
 - الكامل في التاريخ ، نشر دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ .
 - ابن الأثير الجزري : مجد الدين (ت ٦٠٦هـ) ،
 - جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحلواني سنة ١٣٩٢هـ .
- ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشتريني (٥٤٢هـ) .
 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ط/ الثانية ١٣٩٩هـ .
- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ)
 - كتاب الصلة القسم الأول ، المكتبة الأندلسية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
 - كتاب الصلة : القسم الثاني: الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية ١٩٦٦هـ .
- البكري : جغرافية الأندلس ، تحقيق عبدالرحمن الحجري .
- ابن بلقين: عبدالله بن بلقين الصنهاجي (٤٨٣هـ) .
 - مذكرات الأمير عبدالله المسمى بكتاب البيان ، نشر وتحقيق أ. ليفي بروفنسال ، دار

- المعارف بمصر (ذخائر العرب ١٨) .
- - ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ) .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر العقل
نشر دار المسلم بالرياض ١٤١٥هـ .
 - - ابن حزم : أبو محمد بن حزم (٤٥٦هـ)
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد شاكر ط/ القاهرة سنة ١٣٤٥هـ .
- رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، نشر المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧هـ .
- طوق الحمامة في الألفة والالاف. تحقيق حسن كامل الصيرفي وتقديم إبراهيم الأبياري،
نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم (رواية الحميدي)، تحقيق ودراسة شوقي
ضيف، مستلة من مجلة كلية الآداب جـ ١٣ جزء ٢ ١٩٥١م. جامعة فؤاد الأول .
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ .
 - - الحموي: أبو عبدالله ياقوت عبدالله (ت ٦٢٦هـ) :
- معجم البلدان : نشر دار صادر بيروت .
 - - الحميدي: أبو عبدالله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ) :
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ .
 - - الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) :
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، نشر مكتبة لبنان بيروت ط/
الثانية ١٩٨٤م .
 - - ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩هـ) :
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبدالرحمن بن علي الحججي، نشر دار الثقافة

بيروت ١٩٨٣ م .

— المقتبس من أبناء أهل الأندلس :، تحقيق د. محمود علي مكّي ، طبع دار الكتاب اللبناني
بيروت ١٣٩٣ هـ .

• - ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي (ت ٥٢٦ هـ).

— قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العناني ، نشر المكتبة العتيقة بتونس
١٣٨٩ هـ .

• - ابن الخطيب: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ) :

— أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام القسم الثاني، تحقيق ليفي
بروفنسال، نشر دار الكشوف ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦ م .
— الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ
مكتبة الخانجي بالقاهرة .

• - ابن خلدون: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) ،

— العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي
السلطان الأكبر، بيروت ، دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

• - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د/ إحسان عباس، ط/ دار صادر بيروت .
• - أبو دينار: أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار (ت
١١١٠ هـ) .

— المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، نشر المكتبة العتيقة بتونس الطبعة
الثانية ١٩٦٧ م .

• - الذهبي : أبو عبدالله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) :

— تذكرة الحفاظ، الطبعة الثالثة مطبعة دائرة المعارف بحيدراباد سنة ١٣٧٦ هـ .
— سير أعلام النبلاء : تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي، نشر جامعة

الإمام الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

• ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) :

— رايات المبرزين وغابات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار طلاس دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

— المغرب في حلي المغرب . تحقيق شوقي ضيف . نشر دار المعارف بمصر .

• الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ)

— بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها، طبع في مدينة مجريط سنة ١٨٨٤ م.

• الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) :

— تاريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، بيروت .

• الطوطوشي: أبوبكر محمد بن الوليد (ت ٥٢٠ هـ)

— سراج الملوك، تحقيق محمد فقي أبوبكر ط/ الأولى ١٤١٤ هـ .

• ابن عذاري: أبو عبدالله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ) :

— البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال . دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.

• العذري: أبو العباس أحمد بن عمر (ت ٤٧٨ هـ) :

— نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٥ م.

• ابن العربي: أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣ هـ)

— المعاصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق محب الدين الخطيب جدة ١٣٨٧ هـ .

• العماد الأصفهاني: أبو عبدالله محمد بن محمد العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)

— خريدة القصر وجريدة العصر . القسم الرابع جـ ٢، تحقيق عمر الدسوقي . على

عبدالعظيم دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .

• - ابن غالب : محمد أيوب (تق ٦هـ) ،

— فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، نشر قطعة منه وحققها لطفي عبدالبديع، نشر ط / مطبعة ١٩٥٦م.

• - ابن الفرضي : أبو الوليد عبدالله بن محمد (ت ٤٠٣هـ) :

— تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، دار صادر بيروت .

• - ابن القوطية : أبوبكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ):

— تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

• - ابن كثير : إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)

— البداية والنهاية، الطبعة الأولى ١٩٦٦م . مكتبة المعارف بيروت .

• - ابن الكردبوس : أبو مروان عبدالملك بن الكردبوس التوزري (ت بعد ٧٣هـ) :

— تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، نشر معهد الدراسات الإسلامية بمدير ١٩٧١م.

• - مجهول :

— أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، تحقيق إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

• - المراكشي : عبدالواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ) :

— المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي، القاهرة مطبعة الاستقامة ١٣٦٨هـ .

• - المقرئ : أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ)

— نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ .

- أزهار الرياض في أخبار عياض :تحقيق وتعليق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شليبي، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي سنة ١٣٩٨هـ .
- - النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٢هـ) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٢، نشر جاسيار راميرو ١٩٧١م.
- - ابن هذيل : أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (ت ٨هـ) :
- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، نشر بالتصوير الفتوغرافي بباريس سنة ١٩٣٢م.

ثانيا : المراجع

- - إحسان عباس :
- تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧٨م.
- - بالنشيا : انخل جنتالث،
- تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م .
- - البشري : سعد عبد الله
- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
- - روفنسال : ليفي
- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم وآخرين ، نشر مكتبة نهضة مصر. سلسلة الألف كتاب.
- - بريس : هنري :
- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ترجمة الطاهر أحمد مكي الطبعة الأولى دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٨هـ .
- - جاسم : ليث سعود
- ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

- - **الحلبي :** عبدالرحمن علي :
 - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧هـ ، نشر دار القلم دمشق وبيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .
- - **خلاف:** محمد عبدالوهاب
 - قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤م .
- - **خليفة :** عبدالكريم :
 - ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه ، نشر دار العربية ، مكتبة الأقيصى - بيروت .
- - **الدوري :** إبراهيم ياسر خضير :
 - عبدالرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية ، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢م .
- - **السامرائي :** خليل :
 - الثغر الأعلى الأندلسي ، رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٧٦م ، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية ، طبع دار الحرية بغداد ١٤٠٦هـ .
- - **سالم :** السيد عبدالعزيز :
 - قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، طبع بيروت ١٩٧١م .
- - **الصوفي :** خالد
 - تاريخ العرب في إسبانيا ، الطبعة الأولى دار الشرق ، حلب .
- - **عاشور :** سعيد عبدالفتاح :
 - أوروبا العصور الوسطى ، الطبعة السابعة مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٧٨م .
- - **العبادي :** أحمد مختار
 - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٨٢م .

- - عبد البديع : لطفي
- الإسلام في إسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩ م. القاهرة.
- - عبد الحليم : رجب محمد
- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية .
- دولة بني حمود في مالقة بالأندلس رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٦ م.
- - هنان : محمد عبدالله
- دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الأول والثاني ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م.
- الدولة العامية ط/ مطبعة مصر سنة ١٩٥٨ م .
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.
- - هويس : عبد الحليم .
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، (نشر دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة) .
- العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس ، بحث مقدم إلى ندوة الأندلس الدرس والتاريخ الذي نظمته جامعة الإسكندرية عام ١٤١٤ هـ .
- - الكاندهلوي : محمد يوسف
- حياة الصحابة ، دار العلم - دمشق - الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ .
- - لويون : غوستاف .
- حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ القاهرة .
- - لين بول : ستانلي :، الدول الإسلامية . القسم الأول . مع إضافات وتصحيحات بارتولد و خليل أدهم . ترجمه من التركية إلى العربية محمد صبحي قرزات .

- - مؤنس : حسين
- فجر الأندلس، الطبعة الثانية الدار السعودية ١٤٠٥ هـ .
- - مكّي: الطاهر أحمد
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة - دار المعارف بمصر، ١٩٨٠ م .
- - نعتي: عبدالمجيد :
- الأسلام في طليطلة ، دار النهضة العربية للطباعة .

المراجع الأجنبية

- Altamirai R . Historia de Espania Y la civilizacion Espaniola: To I. 3o Ed. Barcelona 1913
- Aviles Fernandez : M Espania Muslmana Colibato Reinos de taifas Madrid 1980 .
 - Masia A. Introduccion Historia de Espania Barcelona 1913 .
 - Mendendez Pidal : R . Poesia a' rabe Y Po'esia Europea coleccian ausbral No 195 Madrid 1975 .
 - Menedez Pidal El cid Campeador Coleccion Aaustal No 1000 Madrid 1973 .
 - Picatore Felipe Historia de Espania Madrid 1899.
 - profencal L. la civilizacian arabe en Espania . coleccian ausbral No 1161 Madrid 1977 .
 - Sauchez allornoz: El Islam de Espania coleccian ausbral No 1560 Madrid 1974 .
 - Suarez Farnandaz L . Manual de Historia Universal T.3. Edad Media Madrad 1972.
 - Villa Realy Valdivia F . Historia de Espania Granada 1899 .